الفصل الأول

أولاً:- نشأته.

ثانياً:- ثقافته.

ثالثاً:- حياته وعصره.

المبحث الأول

نشأته

- الاسم.
- مولده.
- ألقابه.
- سماته الخلقية وصفاته الخُلقية.
- أسرته.
- شفقة الوالدين.
- أخوته.
- عزوفه عن الزواج.

١-الاسم: هو " سعيد بن ميرزا علي بن خضر بن ميرزا خالد، وينتسب إلى عشيرة اسباريت "[١]

٢-مولده: بين جبال الشم الرواسي الضاربة بقممها المكسوة بالثلوج، والسماء النقية الصافية ومع أنداء الفجر، ولد سعيد النورسي في قرية " نورس" وهي إحدى قضاء " خيزان " التابع لولاية " تبليس " شرق " الأناضول " سنة (١٢٩٣هـ - ١٨٧٣م). [٢]

٣-ألقابه: لقد اشتهر سعيد النورسي بألقاب وردت جميعها في مؤلفاته هي:

أ- " تلميذ الشيخ ": وذلك اللقب أطلق عليه في المراحل الأولى لتحصيله العلم، وسبب إطلاق هذا اللقب عليه، أنه حين كان يدرس في قرية " برمس " تشاجر معه أربعة من الطلاب، حيث اتفق هؤلاء الأربعة على مشاكسته باستمرار، مما دفعه للمثول بين يدي الشيخ " سيد نور محمد " شاكياً إليه هؤلاء الأربعة، قائلاً له باعتزاز: أيها الشيخ المحترم، أرجوا أن تقول لهؤلاء الأربعة ألا يأتوا للشجار معي جميعاً، فليأتوا مثنى.

وبهذا الكلام الذي صدر من سعيد النورسي انشرح صدر الشيخ سيد نور محمد من هذه الرجولة المبكرة في سعيد الصغير، وقال ملاطفاً له: أنت تلميذي لن يتعرض لك أحد وبعد هذه الحادثة أطلق عليه تلميذ الشيخ في هذه المدرسة. [٣]

ب- " سعيد المشهور ": لقد أطلق هذا اللقب على سعيد النورسي حيث شاعت أحواله في " سعرد " مما آثار فضول علمائها، فأقبلوا عليه يمتحنونه ويحاولون إحراجه بأسئلتهم.

وكان النورسي كلما تم توجيه السؤال إليه، فإنه كان يمعن النظر في وجه استاذه الملا "

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيره ذاتية، ترجمة إحسان قاسم، ص ٣٥، ٣٩، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م. بتصرف.

(٢) إحسان قاسم الصالحي: بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص١٩، دار الوفاء، مصر- وانظرا. د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة في فكر بديع الزمان النورسي، ص٧، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٣، ٤٤

فتح الله " ويجيب وكأنه ينظر إلى كتاب ويقرأ.

والعلماء الذين شاهدوا هذا حكموا بأنه شاب خارق، وأثنوا على ذكائه وعلمه ومنزلته.

وما لبث خبر هذا الشاب أن شاع وانتشر بين الأهلين.

وكان سعيد النورسي في هذه الأثناء في " الخامسة عشر " من عمره مما جعلهم يطلقون عليه " سعيد المشهور " حيث أعلن في " سعرد " أنه مستعد للإجابة عن أي سؤال كان يرد منهم دون أن يسأل أحداً سؤالاً." (١)

ج - " بديع الزمان ": وهو من أكثر الألقاب التي اشتهر بها بين الناس في حياته وبعد وفاته، ومرجع هذا اللقب وسبب تسميته به، أنه أخذ يطالع كتب العلوم الحديثة (تاريخ جغرافيا، رياضيات، جيولوجيا، فيزياء، كيمياء، فلك، فلسفة... وأمثالها من العلوم) وذلك في مدة قصيرة جداً، وخاض غمار هذه العلوم بنفسه دون معونة من أحد.

فمثلاً: حفظ عن ظهر قلب خلال أربع وعشرين ساعة كتاباً في الجغرافيا قبل أن يناظر في اليوم التالي مدرس الجغرافية ويلزمه الحجة في دار الوالي طاهر باشا.

وعلى الشاكلة نفسها ألزم مدرس الكيمياء.

وهكذا لتعدد مواهبه ولذكائه الخارق وقوة ذاكرته أطلق عليه العلماء لقب " بديع الزمان ".

ويتواضع العلماء العظام يقول النورسي: إن هذا الفقير الغريب النورسي الذي يستحق أن يطلق عليه أسم بدعة الزمان، إلا أنه اشتهر (دون رضاه) ببديع الزمان.

وعندما سئل: أنت تذيل مقالاتك وتمضيها بأسم بديع الزمان، وهذا يومئ إلى المدح.

أجاب: كلا، ليس للمدح، وإنما أريد أن أبين بهذا الإمضاء تقصيري وتعليلي هو أن البديع يعني الغريب، ثم إن قصدي من البديع العجيب.

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٥٢، ٥٣

ثم نلحظ بعد ذلك أن النورسي يضيف ويرجع هذا اللقب إلى رسائل النور فيقول:-

إن لقب بديع الزمان الذي منحته مع عدم استحقاقي له ليس لي، وإنما هو أسم معنوي لرسائل النور، فلقد قلد مؤلفها الظاهر هذا القلب إعارة وأمانة، والآن أعيد ذلك الاسم الأمانة إلى صاحبه الحقيقي.

فرسائل النور هي المعجزة القرآنية، وما كنت أحمله سابقاً من اسم بديع الزمان هو ملكها وقد أعيد إليها أيضاً، إذ قبل خمس وخمسين سنة، شبه أستاذي المرحوم الملا " فتح الله " سعيداً القديم ببديع الزمان " الهمذاني " [1] فأعطى اسم بديع الزمان له. [2]

د- سعيد القديم وسعيد الجديد:- وهما لقبان لهما مدلولهما في حياة النورسي التي تنقسم إلى فترتين متباينتين، اكتنفت حياته، وذلك عندما كان منشغلاً بالسياسة والحضارة الأوربية

وما فيها من فنون وعلوم وفلسفة، وهذه هي مرحلة " سعيد القديم ".

ثم التحول عنها وعدم الانشغال بها (أي الانشغالات السابقة) وقام بالتركيز على حقائق الإيمان وغرسه في نفوس أفراد المجتمع التركي لحاجتهم إلى ذلك.

ولهذا قال النورسي: حينما سار " سعيد الجديد " في طريق التأمل والتفكر، انقلبت تلك العلوم الأوربية الفلسفية وفنونها التي كانت مستقرة إلى حد ما في أفكار " سعيد القديم" إلى أمراض قلبية نشأت منها مصاعب ومعضلات كثيرة في تلك السياحة القلبية.

فما كان من " سعيد الجديد " إلا القيام بتمحيص فكره والعمل على نقضه من أدران الفلسفة المزخرفة، ولوثات الحضارة السفيهة " [3]

---

(١) بديع الزمان الهمذاني: هو أحمد بن الحسين (٣٥٨هـ- ٣٩٨هـ) كان آية في قوة الذكاء وسرعة الحفظ وصفاء الذهن وقوة النفس، كان ينشد الشعر فيحفظ القصيدة كلها وينظر في الأربعة والخمسة من الأوراق في كتاب نظرة واحدة ثم يهزها عن ظهر قلب هزاً (أنظر بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٦٥، نقلاً عن معجم الأدباء (١/ ١٦١-٢٠٢) باختصار.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٦٢-٦٥، بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم، ص١٧٦، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٤-سماته الخَلقية وصفاته الخُلقية.

أ- سماته الخَلقية:- ورد في السيرة الذاتية لسعيد النورسي ملامحه الشخصية والتي أملاها هو بنفسه في الوثيقة حين قبوله عضواً في دار الحكمة الإسلامية، حيث ذكر فيها بأنه طويل القامة، عسلي العيون، حنطي اللون." (١)

ب- صفاته الخُلقية:-

لقد نشأ النورسي على الأخلاق الفاضلة والشيم الحميدة، حيث اتصف بالورع والزهد والتقوى.

وبمعرفة سيرة النورسي من الولادة حتى الوفاة: يتضح أن ذلك أصل متأصل في أسرته بدءاً بأبيه الذي كان يكمم أفواه ماشيته لئلا تأكل من مزارع الآخرين، وكان حريصاً ألا يدخل بيته لقمة من حرام.

وانتهاءاً بأمه التي قالت: بأنها ما أرضعت أطفالها إلا وهي على طهر ووضوء." (٢)

ولقد كان رحمه الله لين الجانب في غير مذلة، رحيماً عطوفاً على القريب والبعيد، ومحباً للخير متمثلاً له وداعياً إليه.

ومما يكشف لنا عن تواضعه قوله: " نحن نهرب هروباً من احترام الناس إيانا وتوقيرهم لنا وحسن ظنهم بنا وإكرامهم لنا وإعجابهم بنا، وذلك بمقتضى مسلكنا، فاللهاث وراء الشهرة التي هي رياء عجيب، ودخول التاريخ بفخر وبهاء، وهو عجب ذو فتنة، وحب الظهور وكسب إعجاب الناس، كل ذلك مناف ومخالف للإخلاص، الذي هو أساس من أسس مسلك النور وطريقه " (٣)

" لقد ظل النورسي يذب عن نفسه الأحوال والصفات التعظيمية، وكان يدفع عن نفسه باستمرار نعوت التبجيل والإعظام التي كان تلاميذه والعارفون بسيرته يطلقونها

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٣٥.

(٢) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص٧، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٣) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم، ص٢٨٩، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

عليه، وكان جل حرصه أن يجرد نفسه مما يلبسه الناس إياها من حلل القداسة " [١]

وكان النورسي دائماً يعلن لمن حوله عدم قبوله أي مدح أو إطراء، فيقول:

" ليكن معلوماً لدى الجميع، أن الذي يزورنا إما انه يأتي إلينا لأجل أمور تخص الحياة الدنيا فذلك الباب مسدود.

أو أنه يأتي من حيث الحياة الآخرة، ففي تلك الجهة بابان:

فإما أنه يتصور أنني رجل مبارك صاحب مقام عند الله، ولأجل هذا يأتي إلينا، فهذا الباب أيضاً مسدود، إذ لا تعجبني نفسي ولا يعجبني من يعجب بي، فحمداً لله أجزل حمد إذ لم يجعلني راضياً عن نفسي.

أما الجهة الأخرى: فهو يأتي إلينا لكوني خادماً للقرآن ودلالاً له وداعياً إليه ليس إلا فمرحباً وأهلاً وعلى العين والرأس لمن يأتينا من هذا الباب." [٢]

أما زهده وورعه: فقد تمثل في رفضه المناصب التي يجني من روائها المال والجاه قائلاً:-

"إن حقيقة الإخلاص تمنعني عن كل ما يمكن أن يكون وسيلة إلى كسب وشهرة لبلوغ مراتب مادية ومعنوية " [٣]

ومن زهده: كذلك امتناعه عن أخذ مال الزكاة والصدقات التي جمعت له، حيث كان من عادة طلاب التعليم الفقراء أن يتفرقوا في القرى لجمع الزكاة والصدقات.

أما النورسي فأن عفة نفسه منعته أن يفعل ذلك، مما آثار تقدير وإعجاب القرويين الذين جمعوا له فيما بينهم مساعدة مالية وقدموها له، إلا أنه رفض أن يأخذها، فاضطروا إلى إعطائها لأخيه الملا " عبد الله "." [٤]

" كما أن النورسي رفض أخذ المرتبات من الدولة، لئلا يفقد الإخلاص الذي جعله

---

(١) أ.د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٧٨، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٩م.بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم، ص٤٤٢، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٣) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم، ص٢٢٦، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٤) إحسان قاسم: بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص٢٠، دار الوفاء، المنصورة.بتصرف.

أحد أسس رسائل النور، وما أخذ مرتباً إلا من دار الحكمة الإسلامية عندما كان عضواً فيها ولمدة سنتين، وكل ما أخذه منهم صرفه لطبع كتبه وتوزيعها مجاناً على الناس، فردت بذلك بضاعتهم إليهم " (١)

ومن أخلاقه العطف على الفقراء، والبعد عن العنف والفوضى، ومما يؤكد ذلك، قوله:-

" إن خدمتنا تؤسس الأمن والاحترام والرحمة، فتسعى لإنقاذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب " (٢)

لهذا كان رحمة الله عليه، يوجه طلابه ويرشدهم إلى احترام الآخرين وعدم مجادلتهم وخاصة طلاب العلم منهم، حيث قال:- " إياكم أن تفتحوا باب النقاش مع العلماء، بل يجب التعامل معهم بالحسنى، والمصالحة قدر الإمكان " (٣)

ومن أخلاقه: العفو والصفح عمن ظلموه وعدم الدعاء عليهم، ويبرر النورسي ذلك بأن الأكثر منهم قدموا على ذلك عن طريق جهلهم وعدم معرفتهم بحقائق الأمور، بل إن الذين عذبونا ساعدوا على نشر الحقائق الإيمانية دون أن يدركوا تجليات أسرار القدر الإلهي، ووظيفتنا تجاه هؤلاء هي التمني لهم بالهداية " (٤)

ثم يقول بعد ذلك " إني لا أقابل المعاملة بالمثل، ولا أدعو على من ظلموني، لأن الشفقة التي هي دستور حياتي وأساس مسلكي منذ ثلاثين سنة قد منعتني خشية أن يتضرر الأبرياء حتى حينما كنت أريد أن أدعو على الظالمين الذين ظلموني لا أدعوا عليهم، ويمنعني سر الشفقة هذا، لأن ذلك الظالم -كنت أفكر- أنه إما يعاون أمه أو أباه أو زوجته أو أولاده الأبرياء، أو يتكفل بتأمين معيشتهم والإنفاق عليهم، ولأجل هؤلاء

---

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٢٣٧.

(٢) المصدر السابق نفسه: ص١٦٠.

(٣) المصدر السابق نفسه: ص٢٨٢.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص٣٧١.

منعت نفسي من الدعاء عليهم رغم ظلمهم. "[١]

وبجانب أخلاقه الحميدة التي أتصف بها من أمانة وعفو وحلم وصدق في القول ولين الجانب وشفقته وعطفه على الآخرين وزهده وورعه وعبادته لله رب العالمين، فإنه كان شجاعاً ومجاهداً، وجمع بين جهاد السلاح... واللسان.... والقلم....

جهاد السلاح: فأما جهاده بالسلاح فيتمثل في دعوته إلى مقاتلة الأعداء، وحث الناس على ذلك.

حيث دخل النورسى واعظاً في الجيش العثماني سنة (١٩١٤م) وفي سنة (١٩١٥) وفي هذه الأثناء شكل النورسي فرق المتطوعين " الأنصار" وقادهم في جبهة القفقاس أثناء الحرب العالمية الأولى، وحظي بتقدير القائد العام " أنور باشا " وقواد الفرق وإعجابهم به "[٢]

جهاده باللسان: وأما جهاده باللسان فيتمثل في شجاعته وصلابته في قول الحق مهما كانت المواقف، ومن ذلك " عندما حضر مجلس النواب وألقى كلمة، حيث رأى النواب لا يؤدون الصلاة، فبين بموجب هذه الكلمة أهمية الصلاة ووجوب المحافظة عليها "[٣]

ثم مواقفه المتعددة أثناء محاكماته المتكررة، حيث لم يداهن في أي دفاع أو يلين في قول الحق.

جهاده بالقلم: وجهاده بالقلم يتمثل في مؤلفاته المتعددة (رسائل النور) ورسائله إلى المسئولين في الدولة ومقالاته في الصحف التركية.

٥ – أسرته:-

والده هو الصوفي:- " ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا رشان من عشيرة

---

(١) د. سمير رجب محمد: الفكر الأدبي والديني عند بديع الزمان النورسي، ص١٩٥، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٥م.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١٢٣، ١٢٤.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١٨٣.

أسباريت "[١]

" كان ورعاً يضرب به المثل، حيث لم يذق حراماً، ولم يطعم أولادهَ من غير الحلال، حتى إذا ما عاد بمواشيه من الرعي شد أفواهها لئلا تأكل من مزارع الآخرين.

وقد توفي ودفن في مقبرة بقرية " نورس " وشاهد قبره مكتوب عليه " ميرزه "[٢]

والدته:- " أما والدته فهي: نورية بنت ملا طاهر، من قرية " بلكان " التي تبعد عن قرية نورس ثلاث ساعات، وهي من عشيرة " خاكيف "، والعشيرتان من قبائل " الأكراد الهكارية "[٣]

" وعندما سئلت والدته نورية، ما طريقتك في تربية أولادك حتى حاذوا هذا الذكاء النادر أجابت: لم أفارق صلاة التهجد طوال حياتي... إلا الأيام المعذورة شرعاً، ولم أرضع أولادي إلا على طهر ووضوء "[٤]

شفقة الوالدين:- يقول النورسي: " عندما كانت تنقل أخبار سيئة إلى والدي ووالدتي كأن يقال لهم إن ابنكم قد قتل أو ضرب أو سجن، كان أبي يبتهج ويضحك كلما سمع مثل هذه الأخبار ويقول: ما شاء الله قد كبر أبني حتى يظهر بطولة أو عملاً عظيماً بحيث يتكلم الناس عنه.

أما والدتي فكانت تبكي بكاءاً مراً مقابل سرور والدي، ثم أظهر الزمان أن والدي كان محقاً في كثير من الأحيان"[٥]

ونلحظ من خلال السيرة الذاتية للنورسي أنه بعد وفاة والدته مصدر الرأفة والحنان والتعلم والحوار، أثر ذلك الفقدان على النورسي، وأحدث له حزناً أليماً في نفسه.

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٣٩.

(٢) المرجع السابق نفسه: ص٣٥، وأنظر د. أحمد عبد الرحيم السايح، قضايا معاصرة، ص٧. بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٣٩.

(٤) المرجع السابق نفسه: ص٣٥.

(٥)بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية: ص٥٩.

ولعل هذا يدل من ناحية على تعلق النورسي بوالدته وتأثيرها فيه وتأثره بها.

ومن ناحية أخرى أنه كان باراً بوالديه.

ولهذا يعبر النورسي عن حزنه لفقدانه مجالسة أمه والحوار معها بقوله: " إنني لم أشاهد والدتي الرؤفة منذ التاسعة من عمري، فلم أحظ بتبادل الحوار اللطيف معها في جلساتها، فبت محروماً من تلك المحبة الرفيعة "[١]

إخوته:- سوف نقوم بذكر أبناء السيد ميرزا بالتسلسل بما فيهم النورسي، وهم:-

١-درية: وهي الأخت الكبرى للنورسي، وأم عبيد تلميذ النورسي، وقد توفيت قبل الحرب العالمية الأولى.

٢-خانم:- وهي العالمة الفاضلة، التي توفيت في الحج أثناء الطواف سنة (١٩٤٥م)

٣-عبد الله:- وهو والد عبد الرحمن تلميذ النورسي وأبنه المعنوي، وقد توفى الملا عبد الله الشقيق الأكبر للنورسي عام (١٩١٤م)

٤-سعيد:- وهو الإمام بديع الزمان سعيد النورسي.

٥-محمد:- وهو الشقيق الأصغر للنورسي، توفي سنة (١٩٥١م)

٦-عبد المجيد:- وهو أصغر إخوة سعيد النورسي من الذكور، ترجم كثيراً من رسائل النور إلى اللغة العربية، وكان يشغل مهنة التدريس للغة العربية، ثم مفتياً، ثم مدرساً للعلوم الإسلامية في معهد الأئمة والخطباء والمعهد الإسلامي في قوينا، توفي عام (١٩٦٧م) عن ثلاث وثمانين سنة من العمر.

٧-مرجان:- وهى أصغر إخوة النورسي من الإناث." [٢]

٦-عزوفه عن الزواج:- يفصح سعيد النورسي أنه لم تكن له أسرة خاصة من زوجة وأولاد، فيقول: " وحيث أنني قضيت حياتي عزباً فلم أنجب الأولاد، لذا بت محروماً من مذاقات محبتهم البريئة، ومن ابتهاجهم وانشراحهم " [٣]

---

(١) المرجع السابق نفسه: ص٣٧.

(٢)بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ٢٦-٣٨. بتصرف

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٣٧.

ولعل انخراط النورسي منذ صغره في طلب العلم، ثم انشغاله بقضايا مجتمعه، وسعيه لإنقاذ الإيمان، وتأليف رسائل النور، وما تخلل حياته من اضطرابات وقلاقل سياسية وتدهور حال الأمة الإسلامية.

وما تعرض له النورسي في حياته من نفي وسجن واضطهاد وعدم استقرار، كان سبباً رئيسياً وجوهرياً لعزوفه عن الزواج.

وكان رافعاً لشعار الحديث الشريف: " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " فهموم مجتمعه وأمته كان أولى بالاهتمام من متعته الشخصية.

وذلك شأن العظماء من المصلحين والمفكرين..

ومع هذا فإن النورسي كان يحث تلاميذه على الزواج، لأنها سنة نبوية، وكان يبرز بأن الله عوضه عن الحرمان من إنجاب الأولاد بالأف الأبناء الذين يستفيدون من رسائل النور، فيقول: " وعوضاً عن حرماني من أذواق العطف والحنان النابعة من الأولاد (حيث لا أولاد لي في الدنيا)

أنعم الله سبحانه وتعالى علي بمئات الألوف من الأولاد الأبرياء من حيث استفادتهم من رسائل النور مستقبلاً " [1]

وكان سعيد القديم يخبر طلابه ويقول لهم: " ستحدث زلزلة اجتماعية بشرية عظيمة زلزلة مادية ومعنوية، وسيغبطونني على اعتكافي وانزوائي وبقائي عزباً..

ونراه يعلل تركه للزواج وبقائه عزباً طوال حياته بقوله:-

١- قررت أن أضحي بسعادتي لصد هجوم الزندقة الرهيبة- على الإسلام- وأتمكن من القيام بخدمة القرآن على الوجه الصحيح بإخلاص حقيقي.

لذا لم يكن لي إلا ترك زواج الدنيا الوقتي- مع علمي بأنه سنة نبوية- بل لو وهب لي عشر من الحور العين في هذه الدنيا لوجدت نفسي مضطراً إلى التخلي عنهن جميعاً وعن كل

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٣٧.

شيء تجاه الهجوم المرعب العنيف على الدين من أجل حقيقة القرآن.

٢- أن الآية الكريمة { فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم }[١] والحديث الشريف " تناكحوا تكاثروا " ليست أوامر وجوبية ودائمية، بل إستحبابية مسنونة، فضلاً عن أنها موقوفة بشروط لابد منها ومن توافرها.

ثم أن الحديث الشريف " لا رهبانية في الإسلام " لا يعني الانزواء والعزوبة- كما هو لدى الرهبان - بل هو حث على الانخراط في الحياة الاجتماعية كما هو مضمون الحديث الشريف " خير الناس أنفعهم للناس ".

٣- لم نقل لطلاب النور تخلوا عن الزواج ودعوه للآخرين، ولا ينبغي أن يقال لهم هذا الكلام، إذ لا يضر هذا الزواج بخدمته وعمله للقرآن.

ولله الحمد والمنة فأغلب طلاب النور متزوجون وقد أقاموا هذه السنة الشريفة على وجهها وزوجاتهم لا يقصرن، بل قد يفقن أزواجهن في خدمة القرآن.

ورسائل النور تخاطبهم:- أجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة وموضع تلقي العلم والعرفان كي يتربى الأولاد على الإيمان، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة، وأبناء بررة في الدنيا..."[٢]

ورغم أن تعليلات النورسي عن عزوفه من الزواج معقولة، إلا أن هذه المبررات لا تصل إلى حد القبول التام والتسليم المطلق بها، حيث أننا نرى أن كثيراً من زعماء الإصلاح والتجديد ممن تطابقت أحداث حياتهم - إلى حد ما - مع حياة النورسي كانوا متزوجين ولهم أبناء ومن هؤلاء مثلاً: الإمام " محمد عبده " الذى دافع عن الإسلام وحارب الاستعمار، وأثرى الحياة الفكرية في مصر والوطن العربي، ومع هذا لم يمنعه انشغاله بهذا كله عن الزواج " بل تزوج وأنجب من الأولاد ثلاث بنات "[٣]

---

(١) سورة النساء: آية رقم (٣).

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية: ص ٤٩٣-٤٩٦ بتصرف.

(٣) السيد يوسف: رائد الاجتهاد والتجديد في العصر الحديث الإمام محمد عبده، ص٤٥، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٧ م.

ومع هذا، فإن عزوف النورسي عن الزواج لا يقلل من عظيم تضحيته بسعادة نفسه لإسعاد الآخرين، فجزاه الله وجزى المصلحين من أقرانه عن المسلمين خير الجزاء.

المبحث الثاني

ثقافته

- الطفولة وملامح النبوغ.
- أهمية التحصيل العلمي في الصغر.
- خطواته الأولى في تحصيل العلم وشيوخه.
- النورسي وبشارة الرسول العدنان بمنحه علم القرآن.
- مرحلة التكوين العلمي (الدراسة الحقة).
- انزواؤه في تيللو (الاعتكاف العلمي).
- ترحاله لطلب العلم في ماردين وتبليس.
- صون عزة العلم.
- إطلاعه على العلوم الحديثة.
- هل تأثر النورسي بالثقافة العربية والفارسية الإسلامية ؟.
- النورسي يسطر رسائل النور.
- النورسي في مدرسة القرآن الكريم.
- رسائل النور ضرورة حياتية.
- فاعلية رسائل النور.
- النورسي وسلاح الحسبية.
- دور رسائل النور.
- مدرسة رسائل النور.
- الأسباب التي دفعت النورسي لتسمية رسائله برسائل النور.

الطفولة وملامح النبوغ:-

" ظهرت ملامح النبوغ والذكاء على " سعيد الصغير " منذ طفولته حيث كان دائم السؤال والاستطلاع لكل ما استغلق عليه فهمه، فكان يحضر مجالس كبار العلماء.

وعلى الرغم من أن أسرته كانت تشتغل بالفلاحة، إلا أنها كانت تهتم بالعلم والعلماء، حيث كان والده يستضيف علماء قريته في منزله ليالي الشتاء الطويلة، وكانت تدور بينهم مناقشات في مسائل علمية عديدة، وكان النورسي يسمع ما يدور فيها من مباحثات ومناقشات رغم صغر سنه وكان مولعاً بالسؤال والاستطلاع " [١].

أهمية التحصيل العلمي في الصغر.

إن ما يتعلمه الإنسان في صغره يكون أكثر مداومة له في مراحل عمره، حتى أن الإنسان إذا تقدمت به السن تجده محتفظاً في ذاكرته بكثير مما تحصل عليه في سن حياته وفاقداً الكثير مما تحصل عليه في أمسه القريب، وكما يقال: " التعليم في الصغر كالنقش على الحجر ".

ولعلنا ندرك أهمية قول الرسول ﷺ حينما أرشد إلى بداية سن التعليم في السابعة من العمر فما ذلك إلا لعلمه ﷺ بأهمية التعلم في هذا السن، ولذلك قال: " إذا بلغ الغلام سبع سنين أمر بالصلاة، فإذا بلغ عشر أضرب عليها "[٢]

إن بداية التحصيل الأولى للنورسي، والتي كانت كالنقش على الحجر، تلقاها في أعماق فطرته، وأصبحت كالبذور في جسده، على يد والدته.

وكانت الشرارة المعنوية الأولى التي أشعلت نور المعرفة، وأظهرت الحقائق العظيمة عنده حيث يقول: " أقسم بالله، أن أرسخ درس أخذته وكأنه يتجدد علي، إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله، ودروسها المعنوية، حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين، رغم أني قد أخذت دروساً من ثمانين ألف

(١) إحسان قاسم الصالحي: بديع الزمان النورسي نظرة عن حياته وآثاره، ص ١٩.

(٢) حديث: أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة، حسن صحيح.

شخص (أي أنه قد أخذ الدرس من كل ما حوله حتى من الذباب).

بل أرى يقيناً أن سائر الدروس، إنما تبني على تلك البذور، بمعنى أني أشاهد درس والدتي وتلقيناتها لفطرتي وروحي، وأنا في السنة الأولى من عمري، البذور الأساس ضمن الحقائق العظيمة، التي أراها الآن وأنا في الثمانين من عمري "[1]

خطواته الأولى لتحصيل العلم وشيوخه.

كانت بداية تحصيل النورسي للعلم سنة (١٨٨٥م-١٣٠٣هـ) بتعلم القرآن، حيث ساقته حالته الروحية إلى مراقبة ما يستفيضه أخوه الكبير الملا " عبد الله " وشاهد كيف أنه تفوق على أقرانه في القرية وهم لا يستطيعون القراءة والكتابة، فدفعه هذا الإعجاب إلى شوق عظيم وجاد لتلقي العلم.

لذا شد الرحال إلى طلبه في القرى المجاورة لنورس، حتى حطها في قرية " تاغ " عند مدرسة الملا " محمد أمين أفندي " إلا أنه لم يتحمل المكوث فيها فتركها وعاد إلى قريته " نورس " وهي المحرومة من كتاب أو مدرسة لتلقي العلم، وأكتفي بما يدرسه له أخوه الملا عبد الله في أثناء زيارته الأسبوعية للعائلة.

وبعد فترة قصيرة ذهب النورسي إلى قرية " برمس " ومن بعدها إلى مراعي شيخان (أي شيخ تاغي) ثم إلى قرية " نورشين " وبعدها إلى قرية " خيزان "[2]

النورسي وبشارة الرسول العدنان ﷺ بمنحه علم القرآن..

في ليلة من ليالي عام (١٨٩١م) رأى النورسي في منامه بشارة من الحبيب محمد ﷺ بمنحه فيوضات القرآن وفتوحاته، فقال: " رأيت فيما يرى النائم أن القيامة قد قامت والكائنات بعثت من جديد، ففكر كيف يتمكن من زيارة الرسول الأعظم ﷺ.

ثم تذكر أن عليه الانتظار في بداية الصراط الذي يمر عليه كل فرد فأسرع إليه.

وهكذا مر به جميع الأنبياء والرسل الكرام فزارهم واحداً واحداً وقبل أيديهم، وعندما

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٣.

حظي بزيارة الرسول الأعظمﷺ هوى على يديه فقبلها ثم طلب منه العلم، فبشره الرسول ﷺ أنه سيوهب لك علم القرآن ما لم تسأل أحداً، ففجرت هذه الرؤيا فيه شوقاً عظيماً نحو طلب العلم "[1]

ومن سياق هذه البشرى نلحظ أمرين:-

١-أن نقاء وصفاء وطهارة روح النورسي هو الذي يسر له رؤية الحبيب محمد ﷺ في المنام وتلقيه لهذه البشرى الغالية، وكما ورد " الأرواح جنود مجندة " والرسول أخبر" أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً فإن الشيطان لا يتمثل به ".

٢-أن القارئ لسيرة سعيد النورسي يجد أنه سار على تنفيذ وصيه رسول الله بعدم سؤال الآخرين، فمنحه الله هذا العلم الفياض الغزير وفتح عليه فتوح العارفين وآتاه الحكمة وصدق الله في قوله: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا..} [2] ومما يؤكد على ذلك ما يلي:-

أ- استغناء النورسي: " كان نظام المدارس " الكتاب " في شرق " الأناضول " آنذاك قائماً على إعطاء حق فتح المدارس العلمية الدينية لكل عالم مجاز "[3] وتقع مصاريف الطلاب عليه إن كان قادراً على ذلك، وإلا فالأهلون يتداركونها من الزكاة والصدقات والتبرعات، إلا أن سعيداً الصغير كان ينفرد من بين الطلاب جميعهم في عدم أخذه الزكاة من أحد، على الرغم من أن سعيداً القديم فقير الحال منذ أيام طفولته، كما أن والده فقير الحال.

فإن عدم قبوله الصدقات والهدايا من الآخرين بل عدم استطاعته قبولها إلا بمقابل رغم حاجته الشديدة جداً وعدم ذهاب سعيد قط في أي وقت من الأوقات لأخذ الأرزاق من الناس حيث كانت أرزاق طلاب العلم تدفع من بيوت الأهليين وتسد مصاريفهم من أموال الزكاة.

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٥.

(٢) سورة البقرة: آية رقم (٢٦٩)

(٣) إحسان قاسم: بديع الزمان النورسي نظرة عن حياته وآثاره، ص ٢٠.

ولهذا يبين النورسي الحكمة من وراء ذلك فيقول:

" إني على قناعة تامة الآن من أن حكمه هذا الأمر هي عدم جعل رسائل النور- التي هي خدمة سامية وخالصة للإيمان والآخرة- في آخر أيامي وسيلة لمغانم الدنيا وعدم جعلها ذريعة لجر المنافع الشخصية.

فلأجل هذه الحكمة أعطيت لي هذه الحالة، حالة النفور من تلك العادة المقبولة وتلك السجية غير المضرة والهروب منها، وعدم فتح يد المسألة من الناس، فرضيت بالعيش الكفاف وشدة الفقر، وذلك لئلا يفسد الإخلاص الحقيقي الذي هو القوة الحقيقية لرسائل النور وأشعر كذلك أن في هذا الأمر إشارة فيها مغزى "[1].

ولعلنا نلحظ: أن هذا المغزى وتلك الإشارة هي تطبيقه لأمر الرسول ﷺ في الرؤيا المنامية التي رآها بعدم سؤال الآخرين.

ولعل عدم سؤاله الناس وقبول الصدقات، لم يكن قاصراً على حاله في وقت الصغر فقط بل ظل ديدنه الذي لازمه حتى وفاته.

" فلقد اخبر النورسي في معرض توضيحي، دفعاً لما تكون النفوس تتوهمه حياله من تقاضيه المال أو تسلمه المعونات من جهة ما، أنه كفته خلال شهور ستة، ست وثلاثين رغيفاً لم يستطع إكمالها وبقى عدد منها لا يعرف متى ينفذ.

بل لقد كان يتبع منهج الاعتماد على النفس في تحصيل الرزق، فقد ظل طيلة خمس سنوات يتقوت مما توفر لديه من راتب (أرغمه أصدقاؤه على قبوله) عن سنتي خدمة قضاهما في دار الحكمة، مع أنه أنفق منهم الكثير نظير طبعه للعديد من مؤلفاته على نفقته وتوزيعها مجاناً، ولقد ظل يصرح أنه يعيش بالاقتصاد والبركة وأنه لا يقبل من غير الله منة، وأنه قرر أن لا يقبل عطاءاً من أحد طوال حياته،.. بل لقد أكد أنه كان يتأذى بطعام الآخرين "[2]

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٤.

(٢) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٥٣، سوزلر، القاهرة.

(٢) المرجع السابق نفسه: ص٢١

إذاً فالنورسي لم يجعل من علمه وثقافته التي وهبه الله إياها متجراً للربح والكسب، ولكن جعل علمه وثقافته التي بشره بها رسول الله ﷺ لخدمة الأمة والإنسانية رافضاً كل الإعزازات.

" ولقد حدثنا النورسي عن إغراءات كان النظام يضعها في طريقه من أجل أن يلحقه بالصف وأن يماشي ركباً مليئاً بأصحاب القلوب التي تنبض حقداً على الإسلام.

ولكن النورسي لم يكن يبحث " بعلمه وثقافته " ما يملأ به الحجر كي يرضى ويسكت، لقد كانت مواجده متعلقة بسقف من العزة والسؤدد الروحي تسترجع به الأمة توازنها العلمي وتباشر به من جديد مسيرتها كرائد للإنسانية على طريق الخير" (١).

وفي موضع آخر نرى النورسي يترجم قراره بأنه لا يقبل عطاءاً ولامنةً من أحد طوال حياته إلا من الله إلى واقع عملي، حيث يتجلى لنا من واقع سيرته الذاتية التي سجل فيها: بأنه ما طرق سمعه نزاع بين العشائر إلا وتوجه إليهم يرشدهم ويعظهم.

" فأستطاع بعون من الله إجراء الصلح بين " شكر آغا " و" مصطفي باشا " رئيس عشيرة ميران، بينما أخفقت الإدارة العثمانية من فض النزاع بينهما.

وكان نتاج ذلك الصلح أن قدم له مصطفى باشا فرساً مع كمية من النقود نظير هذا العمل الجليل، إلا أن الملا سعيد رفض ذلك قائلاً:

" ألم تسمع أنني لم أخذ مالاً من أحد فكيف آخذه من أمثالك " (٢).

ب- النورسي يرفع شعار " هنا يجاب عن كل سؤال ":-

رجع النورسي إلى استانبول مرة أخرى سنة (١٩٠٧م) حيث سكن في "خان الشكرجي في منطقة فاتح" (٣) وفي أثناء إقامته في استانبول علق لوحة على باب غرفته كتب

---

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٦٢.

(٣) الخان:- وهي الفنادق التي كانت توجد سابقاً في المدن أو على الطرق بين المدن.

- منطقة فاتح:- نسبة إلى الجامع الشهير للقائد المسلم " محمد الفاتح " فاتح القسطنطينية.

فيها (هنا يجاب عن كل سؤال وتحل كل مشكلة دون أن يسأل هو أحد من الناس)

كان هذا إعلانا غريبا وادعاءاً مثيراً مما رغب الكثيرين في رؤيته.

ويسرد السيد " حسن فهمي باشا أو غلو "[1] ذكرياته حول هذا الموضوع فيقول:

" عندما جاء شاب يدعى " بديع الزمان " إلى استانبول كنت أدرس في مدرسة " الفاتح " وسمعت أنه علق لوحة على باب غرفته يقول فيها ما معناه: " هنا يحل كل أمر معقد ويجاب عن كل سؤال ولكنه لا يسأل أحداً " وقد تبادر إلى ذهني أن صاحب هذا الادعاء لا بد أن يكون مجنوناً.

ولكن توالي الثناء على " بديع الزمان" من قبل الجميع من الطلاب والعلماء الذين قاموا بزيارته مما أثار في نفسي الرغبة في زيارته.

وقد قررت أن اختار أعقد الأسئلة وأدقها لإسالة، وكنت آنذاك أعتبر من المتقدمين المتفوقين في المدرسة، وأخيراً اخترت من الكتب التي تبحث في الإلهيات بعض الموضوعات المعقدة التي لا يمكن الإجابة عنها إلا بمجلدات من الكتب.

وفي اليوم التالي ذهبت لزيارته ووجهت إليه الأسئلة، وقد كانت أجوبته عجيبة وخارقة ومدهشة، إذ أجابني وكأنه كان معي بالأمس ينظر إلى تلك الكتب، فأصبحت موقناً ومطمئنا بأن علمه ليس كسبياً- كعلمنا- بل هو علم لدني.

ونجد عالماً آخر يزوره أسمه "حسن أفندي " قضى عمره المديد في التدريس ولم يغب عن التدريس إلا يوماً واحداً وهو يوم زيارته لبديع الزمان سعيد النورسي وفي اليوم التالي لزيارته أعلن لطلابه قائلاً " لم أشاهد مثله أبداً... إنه من نوادر الخلق.. لم يجيء مثله قط

• كان هذا الخان مقراً لكثير من المفكرين والأدباء أمثال الشاعر المشهور: محمد عاكف، وهو شاعر إسلامي من أبلغ الشعراء الأتراك (١٨٧٣-١٩٣٦) أصبح عضواً في دار الحكمة.

(٢) أصبح فيما بعد عضواً في هيئة الاستشارة للشئون الدينية التي تقابل وزارة الأوقاف في البلدان العربية، أنظر (إحسان قاسم- بديع الزمان نظرة عامة) ص٢٥،٢٦.

(٣) إحسان قاسم: بديع الزمان نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص ٢٥ - ٢٧. بتصرف

".[1]

" ونستنتج من ذلك أن الإمام النورسي صدق الله ورسوله بأن لا يسأل أحداً، فمنحه الله العلم والحكمة، وصدق الرسول المعصوم (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)

مرحلة التكوين العلمي (الدراسة ألحقة)

توجه النورسي برفقة صديقه " ملا محمد " إلى " بايزيد " إذ لم يكن النورسي قد قرأ حتى الآن سوى مبادئ النحو والصرف.

وهناك التحق بمدرسة الشيخ " محمد جلالي " وقضى فيها ثلاثة أشهر منقطعاً عن الأنظار ومنهمكاً في تحصيل العلوم الشرعية، ودراسة مكثفة للمتون والشروح والحواشي حتى أخذ إجازته العلمية منه.

وفي تلك الفترة ورغم صغر سنه إلا إنه أتم قراءة العديد من الكتب مثل " المواقف " للإيجي " وجمع الجوامع " للسبكي " وتحفة المحتاج في شرح المنهاج " لأبن حجر، مع الفهم التام من دون معونة من أحد، وكان نادراً ما يتكلم وقضي معظم أوقاته عند ضريح الشيخ " أحمد الخاني" وخاصة في الليالي، علماً بأن الناس يترهبون من دخوله نهاراً.

ولهذا كان الناس يقولون: إنه حظي بفيض من " أحمد الخاني " ويسندون وضعه هذا إلى كرامة الشيخ." [2]

" وفي عام (١٨٩٢م) عاد النورسي إلى " تبليس " فحضر بعض دروس الشيخ "محمد أمين أفندي" وكلفه الشيخ أن يلبس زى العلماء ويدع زى الدراويش، ولكنه رد تكليفه قائلاً: " إنني لم أبلغ بعد الحلم، فلا أجدني لائقاً بلبس ملابس العلماء ".[3]

" ثم أتجه بعد ذلك إلى مدينة " شيروان" حيث كان أخوه " الملا عبد الله " وهناك قال له أخوه " عبد الله " أنه أنهى كتاب " شرح الشمسية " وهي رسالة في قواعد المنطق "

---

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ٤٥، ٤٧ بتصرف واختصار.

(٣) المرجع السابق نفسه: ص٤٧، ٤٨. بتصرف.

للقزويني" وسأله أخوه فما قرأت أنت ؟

فقال بديع الزمان: لقد قرأت ثمانيين كتاباً.

فقال له الملا عبد الله: إذن سأمتحنك.

فوافق النورسي، ولما أصغى إلى أجوبته السديدة، قدر فيه كفاءته العلمية، حتى أتخذه أستاذاً له، مع أنه كان قبل ثمانية أشهر تلميذاً لديه ". [1]

" وفي نفس العام توجه النورسي إلى " سعرد " بعد أن مكث شهرين عند أخيه، وفي " سعرد" ذهب إلى مدرسة " الملا فتح الله أفندي " وقد قرأ النورسي عليه " جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه ".

وفي أسبوع واحد ذاع فيها صيته وأشتهر أمره مما أثار فضول العلماء فيها، فأقبلوا عليه يمتحنونه ويحاولون إحراجه بأسئلتهم، وذلك في اجتماع واسع حضره " الملا فتح الله" أيضاً.

وكان بديع الزمان كلما يوجه إليه سؤال يمعن النظر في وجه أستاذه " الملا فتح الله " ويجيب وكأنه ينظر إلى كتاب ويقرأ.

وهذا يعكس مدى علاقة التلميذ بأستاذه والصلة الروحية الإلهامية والمعنوية بين التلميذ والأستاذ.

والعلماء الذين شاهدوا هذا المنظر حكموا بأنه شاب خارق وأثنوا على ذكائه وعلمه، وما لبث خبر هذا الشاب أن شاع وأنتشر بين الأهلين في " سعرد " حتى بدأ الناس يوقرونه كتوقيرهم لولي من الصالحين.

كان الملا سعيد في هذه الأثناء في الخامسة عشر من عمره يتمتع بقوة البدن والنشاط فضلاً عن إفحامه جميع العلماء، مما جعلهم يطلقون عليه " سعيد المشهور ".

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٤٨.

كما أن الملا فتح الله أول من أطلق عليه لقب بديع الزمان "[١].

" وفي عام (١٨٩٤م) انزوى النورسي في مدينة " تيللو "[٢] حيث اعتكف مدة يعبد الله وفي أثناء اعتكافه حفظ من كتاب " القاموس المحيط للفيروز آبادي " حتى باب السين.

وعندما سئل عن سبب قيامه بذلك أجاب: إن القاموس يورد المعاني المختلفة لكل كلمة وقد خطر لي أن أضع قاموساً أنحو فيه عكس هذا المنحى، أي أورد فيه عدد الكلمات المختلفة التي تشير إلى المعنى نفسه "[٣].

" ثم توجه النورسي إلى " ماردين " حيث بدأ يلقى دروسه في جامع المدينة ويجيب عن أسئلة قاصديه "[٤]

" وأراد علماء ماردين الاعتراض على النورسي وإفحامه في المناقشات، ولكنهم لم يوفقوا بل رضوا به أستاذاً لهم لما لمسوا فيه من قدرة علمية، رغم أنه شاب وفي عمر أبنائهم.

وفي هذه الإثناء التقى بطالبين أحدهما من طلاب السيد " جمال الدين الأفغاني " والآخر من منتسبي الطريقة " السنوسية "، فاطلع بواسطتهما على منهج السيد " جمال الدين الأفغاني والطريقة السنوسية "[٥]

" وقد أحس والي المدينة " نادر بك " لوشاية البعض بأن هذا الشخص خطر، وأنه يحدث بلبلة في المدينة، لذلك قرر نفيه من المدينة، فسيق بصحبة الجند رمة (الشرطة) ويداه مغلولتان إلى مدينة تبليس.

وقد عرف " عمر باشا " والي تبليس آنذاك - بعد مدة قصيرة من وصول النورسي - فضيلة هذا الشاب العالم ومنزلته، فأحبه وأصر على أن يقيم معه في منزله، فخصص له

---

(١) بديع الزمان: سيرة ذاتية، ص٥١-٥٣ بتصرف.

(٢) مدينة " تيللو " تمتاز إلى الآن بتخريج العلماء الصالحين وهي تبعد عن مدينة سعرد سبع كيلومترات

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٥٤

(٤) إحسان قاسم: بديع الزمان نظرة عامة، ص٢٣.

(٥) بديع الزمان: سيرة ذاتية، ص٥٧، ٥٨

غرفة، سكنها بعد إلحاح شديد.

وقد وجد النورسي أنها فرصة لمطالعة الكثير من الكتب العلمية وحفظها عن ظهر قلب كما طالع الكثير من كتب علم الكلام والمنطق والنحو والتفسير والحديث والفقه فحفظ أكثر من ثمانين كتاباً من أمهات كتب العلوم الإسلامية.

وفي هذه المدينة أخذ آخر دروسه الدينية من العالم الفاضل " محمد الكفروي "[1].

صون عزة العلم:

مكث النورسي سنتين في مضيف " عمر باشا " في تبليس بناءاً على إصراره الشديد، ولفرط احترامه للعلم والعلماء، وكان له من البنات ست ثلاث منهن صغيرات، وثلاث بالغات كبيرات.

ومع أن النورسي كان يعيش معهم في مسكن واحد طوال سنتين، إلا أنه لم يكن يميز بين الثلاث الكبيرات، ويفصح النورسي عن ذلك فيقول:-

لم أكن أسدد النظر إليهن كي أعرفهن وأميز بينهن، حتى نزل أحد العلماء يوماً ضيفاً على فعرفهن في ظرف يومين فقط وميز بينهن، فأخذت الحيرة الذين من حولي لعدم معرفتي إياهن، وبدأوا بالاستفسار: لماذا لا تنظر إليهن ؟

فكنت أجيبهم: صون عزة العلم يمنعني من النظر إلى الحرام "[2] وهذا يظهر لنا الصلة القوية بين الذكاء الخارق وغزارة العلم الذي منحه الله للنورسي، وبين صونه عزة العلم، وعدم النظر إلى الحرام.

وهذا يذكرنا بما ذكره الإمام الشافعي ﷺ في ديوانه:-

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني بترك المعاصي

(١) إحسان قاسم: بديع الزمان نظرة عامة، ص٢٣، ٢٤.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٥٩، ٦٠.

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصي[١]

ولعل النورسي تبصر منذ تكوينه وهو في رحم العلم بأن العلم نور من فيض الله ومن أراد الحصول عليه أبتعد عن المعاصي وأتقى الله كما قال المولى { وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[٢].

إطلاعه على العلوم الحديثة:-

لقد أكتمل الهرم الثقافي عند النورسي في عام (١٨٧٩م) حيث لم يكن في مدينة "وان" عالم معروف فدعاه الوالي " حسن باشا " فذهب إليه وأستقر في " وان " فترة طويلة تصل إلى خمس عشرة سنة قضاها في التجوال بين العشائر لإرشادهم والمصالحة بينهم والتدريس للطلاب، وفي " وان" أطلع النورسي على العلوم الحديثة: كالرياضيات والفلك والفيزياء والفلسفة والتاريخ والجغرافيا...، حتى وصل إلى درجة أصبح فيها قادراً على مناقشة المختصين.

وقد ترتب على جمع النورسي بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة، اقتناع النورسي بأن أسلوب علم الكلام القديم أصبح قاصر عن رد الشبهات والشكوك الواردة حول الدين، ومن ثم رأى تحصيل العلوم الحديثة أيضاً.

ومن ثم فقد وضع النورسي في " وان " طريقة خاصة في التدريس تختلف عن الطرق المتبعة آنذاك في المدارس الدينية (حيث كانت هذه الطرق تقوم على تدريس العقائد من خلال المؤلفات الكلامية القديمة والشروح عليها) أستخلصها النورسي من العلوم الحديثة التي استوعبها واضعاً في الاعتبار متطلبات العصر الحديث.

وترتكز هذه الطريقة على عرض الحقائق الدينية ممتزجة بالعلوم الحديثة بأسلوب قريب لمدارك أبناء العصر "[٣].

---

(١) الإمام الشافعي: هو أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ﷺ (٧٦٧-٨٢٠م) صاحب ديوان الشافعي- تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي: ص٨٨، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٥م القاهرة

(٢) سورة البقرة:آية رقم (٢٨٢).

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٦٢، ٦٣. بتصرف.

وبعد جولتنا وترحالنا للبحث عن المنابع التي أستقى منها النورسي تعلمه وثقافته، نلحظ مدى اهتمام النورسي - رحمه الله - بالتحصيل العلمي رغم تباعد المسافات بين البلاد التي ذهب إليها حيث رحل في سبيل طلبه إلى مناطق متعددة، وتلقى العلم على أيدي مجموعة من رجال العلم والتربية ونهل من ينابيع العلم والمعرفة من أمهات الكتب الزاخرة بالعلم، وحصل لديه خبرة واسعة في التعليم والتدريس اكتسبها من خلال تنقله إلى مدارس متنوعة وأساتذة يختلفون في إيصال المعلومات إلى أذهان الطلاب، فلكل شيخ طريقته وأسلوبه، ولكل مدرسة نظامها وأساليبها، ولا شك أن ذلك أثرى الجوانب الثقافية والتربوية والعلمية والفكرية في حياته.

وهذا يوضح لنا أن النورسي شخصية علمية وفكرية تستحق الإعجاب والثناء، كما أستحوذ من قبل بجداره على إعجاب وثناء العلماء عليه، سواء في عصره كمن تتلمذ على أيديهم ورأوا عيانا ذكاء النورسي وقدرته على الحفظ من كتب عديدة وفي مدة قصيرة أو ممن قرأ مؤلفاته وما كتب عنه بعد وفاته وهم كثيرون.

ولكن: يجول في خلجات النفس سؤال يقذف به العقل إلى ساحة البحث وهو:

هل تأثر النورسي بالثقافة العربية الإسلامية ؟.. وهل تأثر النورسي بالثقافة الفارسية الإسلامية ؟

وأود في البداية أن أبين الحكمة من طرح هذين السؤالين وذلك فيما يلي:-

١- أن النورسي ذكر كثيراً أنه كان يعرف اللغة العربية قراءة وكتابة، وألف بعض رسائله باللغة العربية، ولعل هذا قد يكون من الأسباب التي دفعته للإطلاع على الثقافة العربية الإسلامية دون الاقتصار على الثقافة التركية أو الكردية فقط.

٢- أن النورسي ولد في قرية نورس وهي أحدى قرى ولايات شرق الأناضول المجاورة لمعقل الثقافة الفارسية، هذا بالإضافة إلى أنه تجول للدراسة في مدارس قريبة ووثيقة الصلة بها ومن المعروف أن تقارب الحدود يسهل دائماً تناقل الثقافات.

كما أن البحث للإجابة عن هذين السؤالين سيظهر لنا عن شيئين وهما:-

١- مدى التأثر وعدم التأثر عند النورسي بهذه الثقافات، وهل تواصل مع الثقافات القديمة أم لا.

٢- الكشف عن حجم المخزون الثقافي عند النورسي.

١- هل تأثر النورسي بالثقافة العربية الإسلامية ؟

في البداية وقبل الإجابة عن هذا السؤال، أود أن أبين أن ما دفعني لهذه التساؤلات هو حجم العلم والثقافة المخزون في رسائل النور، والذي ينم عن غزارة وسعة وثقافة مؤلفها، والتي لو تم تفريغها بالشرح والإيضاح ما استوعبتها مئات المجلدات، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، إنه لا توجد أصالة ثقافية خالصة من كل زواياها وذلك على مستوى الفكر الإنساني، بمعنى أننا نجد كل مفكر ومثقف متأثراً في جانب أو أكثر من جوانب تفكيره بمن سبقوه.

ومن خلال البحث والإطلاع في مؤلفات النورسي يتبين لنا تأثره بالأدب العربي وفنونه وبالثقافة الإسلامية بكل منابعها، ويتضح ذلك جلياً في كل مؤلفاته، وإن كان المجال لا يتسع لسرد كل ذلك، إلا إنني سأورد بعض النماذج للتدليل على ذلك.

ففي " رسالة الحشر " التي ألفها النورسي والذي ذهب إليه كثير من العلماء إلى إنه مسألة نقلية فيقول: " إن أبن سينا الذي هو من دهاة الحكماء يقول: " الحشر ليس على مقاييس عقلية نؤمن به، ولكن ليس للعقل إليه سبيل "[1].

وفي نفس مؤلفاته ينقل عن دهاة فن المعاني والبيان مما يدل على معرفته الوثيقة بأقطاب الثقافة الإسلامية فيقول: " إن القرآن الكريم قد جمع السلاسة الرائقة والسلامة الفائقة والتساند المتين، والتناسب الرصين، والتعاون القوي بين الجمل و هيئاتها، والتجاوب الرفيع بين الآيات ومقاصدها بشهادة علم البيان وعلم المعاني وشهادة ألوف من أئمة هذه

(١) د/ سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند بديع الزمان سعيد النورسي، ص١٩٨، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٥م.

العلوم " كالزمخشري "[١] " والسكاكي "[٢] و" عبد القاهر الجرجاني "[٣].

ويستشهد بما قالته " بنت لبيد بن ربيعة العامري "[٤]، بأن القرآن الكريم قد أظهر بلاغة - أيما بلاغة- منذ ذلك العصر إلى زماننا هذا حتى أنه حط من قيمة " المعلقات السبع" المشهورة، وهي قصائد أبلغ الشعراء، كتبت بالذهب وعلقت على جدران الكعبة، حتى أن ابنة " لبيد" أنزلت قصيدة أبيها من على جدار الكعبة قائلة: أما وقد جاءت الآيات فليس لمثلك هنا مقام.

وكذا عندما سمع إعرابي الآية الكريمة: { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ }[٥] خر ساجداً فقيل له: أأسلمت ؟ قال لا، بل سجدت لبلاغة هذه الآية ٠ ومن حكم " ابن عطاء الله السكندري " ينقل بديع الزمان في كتابه المكتوبات فيقول: " ماذا وجد من فقده، وماذا فقد من وجده ". يعني من وجد الله لا يفقد أي شيء ومن فقده لا يجد أي شيء، فبعدما رأيت هذه الحقيقة العظيمة فهمت سر حديث (طوبي للغرباء) وشكرت الله عز وجل

وفي كتابه " اللمعات " يحلل بديع الزمان الاقتصاد الإسلامي في تفسير قوله تعالى: { وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }[٦] فينقل عن الإمام الأعظم " أبي حنيفة النعمان " قوله: لا إسراف في الخير كما لا خير في الإسراف " ٠ "[٧].

---

(١) الزمخشري: هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ولد سنة ٤٦٧هـ ١٠٤٧م وتوفى سنة٥٢٨هـ ١١٤٣م كان نحوياً فا سلاً، ألف الكثير من الكتب منها: كتاب المفرد والمؤلف في النحو والمفصل في النحو وكتاب ربيع الأبرار والفائق في الحديث

(٢) السكاكي: هو أبو يعقوب السكاكي، من أعلام البلاغة العربية، مؤلف كتاب المفتاح، وضع علوم البلاغة في قالبها العلمي وعالج قضايا البلاغة بصورة منطقية وفلسفية، توفى سنة ٦٢٦هـ- ١٢٢٨م.

(٣) د/ سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند بديع الزمان سعيد النورسي، ص١٩٨، سوزلر، ١٩٩٥.

(٤) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، من الشعراء المعدودين في الجاهلية، ومعلقته هي الرابعة في المعلقات وهو نموذج أصيل للشعر الجاهلي.

(٥) سورة الحجر: آية رقم (٩٤)

(٦) سورة الأعراف: آية رقم (٣١)

(٧) د/ سمير محمد رجب: الفكر الأدبي والديني عند بديع الزمان النورسي، ص١٩٩-٢٠٠. بتصرف.

٢- هل تأثر النورسي بالثقافة الفارسية الإسلامية:-

نجد أن الإمام النورسي قد تأثر بالثقافة الفارسية الإسلامية فقد ورد في صفحات كثيرة من كتابات بديع الزمان كم كبير من الأبيات والعبارات الفارسية التي تدل على تأثره بالثقافة الفارسية الإسلامية ٠

لقد كان النورسي من أواخر أقطاب الأدب الديواني، ولذا فقد كان حرصه شديداً على أن يسجل بعض أفكاره بالشعر الفارسي، وقد أفصح عن ذلك بنفسه حيث قال: " هذه المناجاة تخطر في القلب هكذا بالبيان الفارسي" وقد أوردها في أول الأمر في رسالة " حباب " وهي في عامتها لا تخرج عن نطاق الفكر الإسلامي الذي سيطر على كل أعمال النورسي فهي بحث في الكون، وتفكير في الخلق وعدم القنوط من رحمة الله والتركيز على الإيمان والقيم الإيمانية وسرعة هذا الزمان الحاضر، ولندع المجال لأبيات النورسي نفسه تتحدث عن أفكاره وتأثره بالثقافة الفرسية.

وأود أن أبين أن هذه الأبيات التي سأوردها ما هي إلا نماذج فقط لكثير غيرها، حيث يقول:

يارب لقد بحثت في كل اتجاه ولكن لم أجد علاجاً لدائي.

ونظرت جهة اليمين حيث مرقد أبي بالأمس.

ورنا بصري صوب اليسار حيث مرقدي في الغد.

فاليوم يمتليء جسمي اضطرابا [1].

وننتقل إلى نقطة أخرى حيث هزت فكرة الأفول وجدان الشيخ النورسي، وعبر عن ذلك بنفسه حين قال: لقد أبكاني نعي " لا أحب الآفلين " من حبيب الرحمن خليل الله، وكانت قطراته حزينة لدرجة أنها كانت تبكي الآخرين بقدر بكائه وقطراته، كانت الفقرات الفارسية التالية: ولا أريد محو مقصودي في الفناء، العقل يصيح والروح تطلق نداء لا أحب الآفلين، ولا أرغب ولا أقدر على الفراق، الفراق بعد التلاقي ليس ذا قيمة،

(١)د/ سمير محمد رجب: الفكر الأدبي والديني عند بديع الزمان النورسي، ص٢٠٣ – ٢٠٧ بتصرف.

إن قلبي يتألم من لا " أحب الآفلين " ليس

جميلاً أن يأفل نجم المحبوب، وليس من القيمة أن يغيب المطلوب في الغروب.

وهذا يبرز التأثير الفارسي الإسلامي في ثقافة النورسي، ويكون ذلك شاهد صدق على انصهار عناصر الحضارة الإسلامية في البوتقة العثمانية التي يعد النورسي من أعلامها الكبار "[1]

كما يبرز ما تم عرضه أن الظروف التي كانت تمر بها تركيا من قلاقل واضطرابات سياسية، وما نتج عن ذلك من تفشي الجهل والخرافات حتى بين من يسمون بالمتعلمين، لم يمنع سعيد النورسي من التواصل مع الثقافات الأخرى.

فهو لم يقف مكتوف الأيدي وقانعاً بما يدفع إليه من ثقافة يستقيها، ولكنه حطم قيود العزلة وبحث عن كل ثقافة تروي ظمأه.

ولم يقف عند حد الشرب مما جاءه من ماء راكد في خزان حديدي تراكم عليه الصدأ ولكنه بحث عن ماء النهر فغرف منه وشرب، ورفع يده إلي السماء فتلقى ماء المطر وذاقه وضرب بثاقب فكره باطن الأرض، فتفجر منها ماء المعرفة، وغاص في أعماق البحار بحرية وكل هذا ليستخلص في النهاية من أي ماء يشرب، ومتى يشرب، وفي أي إناء يشرب، عن قناعه ورضا نفس، وتسكين للعقل المتعطش للعلم والمعرفة، وتهدئة للنفس التواقة للاستكشاف والاستطلاع.

(١) د/ سمير محمد رجب: المرجع السابق نفسه، ص٢٠٧- ٢٠٩ بتصرف.

النورسي يسطر رسائل النور

لقد أفرغ النورسي الكثير من مخزونه الثقافي والعملي فيما سماه برسائل النور.

والنورسي - رحمه الله - كغيرة من العلماء المخلصين الذين أخلصوا في عملهم وتعليمهم، وأفضل ما يخلفه العلماء بعد موتهم علم ينتفع به الناس، ولا يكون ذلك إلا بتدوينه ونشره، ثم حفظه في دواوين تقرأ وتكون مراجع لطلاب العلم والمعرفة، لكي يتتلمذون عليها وينهلون من علومها ومعارفها المختلفة، ويعود أجرها وثوابها إلى صاحبها كما قال الرسول الكريم ﷺ: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو لد صالح يدعوا له ".[1]

وأرى أن النورسي فاز بهذه الثلاثية المحمدية، حيث أنه لم يغنم مالياً من علمه شيئاً وجعله كصدقة جارية وقام بتوزيعه مجاناً على الناس احتسابا لله رب العلمين.

ثم إنه خلف علماً ينتفع به المسلمون، وبما إنه لم يتزوج ولم ينجب إلا أن طلابه هم أبنائه المعنويين، حيث رباهم على الإيمان والأخلاق، وأنقذهم من الوقوع في بركان الرذيلة، فحفظوا له الجميل، ودأبوا على نشر رسائله ودعوته لإنقاذ البشرية.

ولعنا نلحظ أن العلماء المخلصين في جميع العصور وعلى مختلف التخصصات تركتهم العلم يخلفونها لمن بعدهم تورث وتورث، كما قال ﷺ: " إن العلماء ورثه الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[2].

وحياة النورسي كانت حافلة بالعلم تعلماً وتعليماً وتأليفاً وهي حياة يصدق عليها قول ربنا: { وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }[3].

إن النورسي من العلماء الذين قضوا أعمارهم بين العلم والجهاد وكان أحرص الناس

---

(١) الحديث: أخرجه الإمام مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ج٣، ص١٠١٦.

(٢) الحديث: أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٥، ص١٩٦، وأبو داود في السنن: ج٤، ص٥٧، كتاب العلم باب الحث على العلم.

(٣) سورة فصلت: آية رقم (٣٥).

على كسب الوقت وملته بالخير، فكان يسابق الساعات ويبادر اللحظات حرصاً منه على أن لا يذهب وقته هدراً، وكيف يضيع وقته هدراً وهو يرى " أن أخطر ما تتعرض له الأمة هو هدم شخصيتها الإسلامية هدماً عقدياً وثقافياً وسلوكياً وعاطفياً "[١]

والنورسي حين أبصر بمحاولات سلخ الإسلام بأبعاد جلده عن لحمه وتكسير عظمه، رأى أنه ليس من الرجولة والمروءة بمكان أن يقف مكتوف الأيدي، فهب صارخاً للدفاع عن حقائق الإسلام.

ولتحقيق هذا الهدف قام ببذر رسائل النور لتنبت وتتسنبل وتأتي بنسمات ربيع الإسلام ولهذا يقول: " ماذا أفعل ؟ إن قدري دفعني إلى هذه الدنيا في زمان غير زماني، إنه شتاء الإسلام الكابي الحزين، ولا حيلة لي إلا أن أبذر بذور الربيع القادم الذي لا يريد أن يبصره هذا العصر، وحين تنبت هذه البذور وتتسنبل ويأتي ربيعها أكون أنا قد فارقت الدنيا، لكني سوف أتنسم نسمات ربيع الإسلام وأنا راقد في قبري.. فاستشراف مستقبل الإسلام الزاهي هو عزائي وسلوتي في غربتي "[٢]

لقد سطر النورسي رسائل النور من أجل أن تعيد للإسلام إشراقته ولكي تعيد إلى " عقل المسلم صحوته الغائبة، فيصبح عقلاً حركياً فاعلاً، وتدير في مغاليقه مفاتيح الأفكار، وترجع لخلاياه الكسول الحيوية والنشاط، وتبعده عن حالة الاسترخاء والجمود، وتنمي قدرته على دقة الملاحظة وذكاء اللمحة وسعة النظر والخيال، وهذه هي أشراط ولادة الفكر الإيماني الحي الذي بشر به النورسي وغرسه في رسائله "[٣]

لقد استطاع النورسي أن يجسد رسائله ويجعلها " فلذة من كبد هذا الكون، وقطعة من فؤاده ترى بعينة وتسمع بسمعه وتعقل بعقله "[٤]

---

(١) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: أثر النورسي في ترسيخ الإيمان، من أعمال مؤتمر بديع الزمان وتجديد الفكر الديني، ص٥٩، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٢م.

(٢) أديب الدباغ: هوامش على فكر النورسي، ص١٥، من أعمال مؤتمر ١٩٩٢م، سوزلر، القاهرة.

(٣) أديب الدباغ: هوامش على فكر النورسي، ص٢١، من أعمال مؤتمر ١٩٩٢م، سوزلر، القاهرة. بتصرف

(٤) أديب الدباغ: هوامش على فكر النورسي، ص٢٢ بتصرف.

النورسي في مدرسة القرآن الكريم

لقد كان من أبرز خصائص الدين الإسلامي ومن أكرم محامده ومآثره ومن أجل نعمة وأياديه: أن خصه الله وأنزل فيه كتابه الخالد، وإنها لنفحة سماوية، ولمحة ربانية تجلى الله فيها على عباده بكتاب جامع ونظام شامل ومنهاج خالد ونور واضح ومبين { قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ }[1] فيه أخبار الأولين، وقصص السابقين، وعظات وعبر، ونظم وأحكام وشرائع وقوانين تتجدد كلما تجددت حاجة الإنسان، وتتطور كلما تطورت مصالحة، وتقدم له الحل السريع لكل ما يعرض له من مشكلات أو معضلات.

حدد علاقة الإنسان بربه، ثم علاقته بنفسه، ثم علاقته بأسرته، ثم علاقته بجيرانه ثم علاقته بمجتمعه الذي يعيش فيه، ثم وضح بعد ذلك كله مصير الإنسان ومنتهاه، وأن إلى ربك المنتهى، حيث يقف بين يدي ربه ليحاسبه على موقفه من كل هذه العلاقات فكان رحمة للجن والإنس، وغذاء للقلوب والأرواح، وهداية للعقول والألباب، ونوراً للبصائر والأبصار.

يا له من كتاب محكم دقيق عجيب في نظمه، ومعجز في آياته، وبليغ في تعبيره وتناسق أنغامه وألحانه، وعفيف في دفاعه، وقوي في هجومه، ومقنع في خصومته.

لهذا لجأ النورسي إلى ركن القرآن الشديد وأعتصم بآياته وأستمد شبابه وقوته من شباب القرآن وفتوته ونضرته، ولاذ بالقرآن وأسترشد به، وارتمى بنفسه في أحضانه، لأنه يخاطب العقل والقلب، فجعله أستاذه ومرشده كما أسترشد به الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم، حيث أنهم أمسكوا وتمسكوا به، وجعلوه قائدهم فجعلهم قادة للبشرية، وساقهم للنصر، وجنبهم الوقوع في الزلل، وأناروا الكون وهم يرتلون آياته في تناسق فريد.

فالنورسي يرى أن القرآن صالح لكل الطبقات ولكل الأزمان والعصور، وليس كما

---

(١) سورة المائدة: آية رقم (١٥)

يدعى البعض أن القرآن لا يساير النهضة الحديثة والعقول الحاضرة لأنه نزل لمسايرة أهل الصحراء والبداوة، وانه لا يواكب التطور العلمي، وأنه كتاب قد عفي عليه الزمن، فهذا كذب وافتراء وحقد دفين، ويفند ذلك بقوله:

" إن القرآن الكريم قد حافظ على شبابيته وفتوته، حتى كأنه ينزل في كل عصر نضراً فتياً.

نعم إن القرآن لأنه خطاب أزلي يخاطب جميع الطبقات البشرية في جميع العصور خطاباً مباشراً، يلزم أن تكون له شبابية دائمة كهذه، فقد ظهر شاباً وهو كذلك كما كان حتى أنه ينظر إلى كل عصر من العصور المختلفة في الأفكار، والمتباينة في الطبائع نظراً كأنه خاصاً بذلك العصر ووفق مقتضياته، ملقناً دروسه وملفتاً إليها الأنظار.

إن آثار البشر وقوانينه تشيب وتهرم مثله وتتغير وتتبدل، إلا أن أحكام القرآن وقوانينه لها من الثبات والرسوخ بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرت العصور.

نعم إن هذا العصر الذي أغتر بنفسه وأصم أذنيه عن سماع القرآن أكثر من أي عصر مضى، وأهل الكتاب منهم خاصة، أحوج ما يكونون إلى إرشاد القرآن الذي يخاطبهم بـ " يا أهل الكتاب " حتى كأن ذلك الخطاب موجه إلى هذا العصر بالذات، إذ أن لفظ " أهل الكتاب " يتضمن معنى: أهل الثقافة الحديثة أيضاً.

فالقرآن يطلق نداءه يدوي في أجواء الأفاق ويملأ الأرض والسبع طباق بكل شدة وقوة وبكل نضارة وشباب فيقول: " { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ } "[1]

فمثلاً: إن الأفراد والجماعات مع أنهم قد عجزوا عن معارضة القرآن إلا أن المدنية الحاضرة التي هي حصيلة أفكار بني البشر وربما الجن أيضاً قد اتخذت طوراً مخالفاً وأخذت تعارض إعجازه بأساليبها الساحرة: فلأجل إثبات إعجاز القرآن بدعوى الآية

(١) سورة آل عمران: آية رقم (٦٤)

الكريمة: { قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ }[1]، لهذا المعارض الجديد الرهيب نضع الأسس والمناهج التي أتت بها المدنية الحاضرة أمام أسس القرآن.

فهذه المناهج والأسس التي تستند إليها هذه المدنية الحاضرة، هي التي جعلتها عاجزة (مع محاسنها) على أن تمنح سوى عشرين بالمائة من البشر سعادة ظاهرية، بينما ألقت البقية إلى شقاء وتعاسة وقلق •

أما دساتير القرآن وقوانينه لأنها آتية من الأزل فهي باقية وماضية إلى الأبد لا تهرم أبداً (شبابية) ولا يصيبها الموت كما تهرم القوانين المدنية وتموت، فدساتير القرآن شابه وقوية دائماً وفي كل زمان "[2].

(١) سورة الإسراء: آية رقم (٨٨)

(٢) بديع الزمان النورسي: مجموعة الموازنات، ص ١٣٠-١٣٢، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٨. بتصرف.

رسائل النور ضرورة حياتيه

إن القارئ لرسائل النور يجد إنها ناقشت وسلطت الضوء على كثير من الموضوعات الشائكة والبالغة الصعوبة، والمتعمق في فكر النورسي ذلك العالم العملاق يحس بسلاسة حل هذه الموضوعات بلا صعوبة ٠

وهذا دليل على أنه عالم موهوب، وهبة الله من قوة الروح ونفاذ الفكر ورهافة الحس وصفاء الذوق وصدق المشاعر وعمق محبته لأمته وللإنسان وعظيم إخلاصه لله و شدة تعلقه بكتاب الله وسنة رسوله ما جعله طبيباً ماهراً وبارعاً في اقتناص الأمراض التي زحفت على الأمة فجعلتها كسولة خاملة لا تقوى على منافسة الغرب الأوروبي، أو حتى مسايرة العصر الذي يعيشون فيه، مما سبب له ألماً وحسرة سلبت منه راحة البال، لأن هذه الأمراض مهدت السبيل لخلق نموذج واحد موحد للثقافة والتصور الحضاري، وما يترتب عليهما من أخلاق شخصية واجتماعية ٠

وهذا النموذج هو جندي مجند ومسخر لنشر ثقافة الغازين والعمل على إغراء المغزوين بحضارة وثقافة الغازي، مع تغييب الحس المعرفي عندهم وتنشيط غرائزهم من خلال تحذيرهم بالملذات وبعدهم عن الدين.

أما العمل على مقاومة هذه الحضارة أو الثقافة الغازية فجريمة لا تغتفر، بل تعد ضرباً من الجنون والتخلف والهمجية، يصنف صاحبها في قائمة المصابين بالطاعون الذي يجب أن تطهر الساحة منه لتنفيذ المخطط المرسوم.

ولعل إخلاص النورسي كان الدافع إلى أن يضع حالة الأمة المزرية تحت مجهر فكره ومتحصناً بحصن القرآن، وبنور الله النافذ إلى قلبه يكتشف الأمراض الفتاكة التي حلت بالأمة الإسلامية.

وبتحليلها وجد أن سببها الميكروب الإلحادي الخبيث، فوضع يده المباركة على هذا الداء ليمنع زحفه في جسد الأمة، ويسرع في تشخيص الدواء لعلاج ما أصابها من أمراض.

ويشد النورسي رحاله متجولاً في البلاد ليطعم مرضى الأمة بغذاء العقيدة لتقوية

مناعتهم الإيمانية في القلوب .

ولكي يوقظ عقولهم من نومته الكهفية ليتجاوب مع نداء القرآن بتعمير هذا الكون ليثبت جدارته بالخلافة .

وأستمر سعيه هذا حتى وصل إلى الشام ليعلن مجاهرة ودون خفاء عن الأمراض التي دبت في صميم قلب العالم الإسلامي

والآن نسير في خطوات متواضعة لنغوص قليلاً في نور رسائل النور، حيث يقول الإمام النورسي: " لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية، وعلمت في هذا الزمان والمكان، أن هناك ستة أمراض جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطي، في الوقت الذي طار فيه الأجانب- وخاصة الأوربيين- نحو المستقبل وتلك الأمراض هي:-

أولاً: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبواعثه.

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثاً: حب العداوة.

رابعاً: الجهل بالروابط النوارنية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامساً: سريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوعة.

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية "[1].

وسنحاول تناول كل مرض من الأمراض الست بلمحة من خلال تجوالنا في بستان " كليات رسائل النور" نجمع اللآلىء في عقد منظوم حتى يتم المراد ويكتمل العلاج.

أولاً: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبواعثه:-

---

(١) بديع الزمان النورسي: ترجمة إحسان قاسم، الخطبة الشامية، صيقل الإسلام ص ٤٩١- ٥١٥ وأنظر كذلك خديجة النبراوي، دور كليات رسائل النور في يقظة الأمة، ص١٢، سوزلر القاهرة، ٩٨. بتصرف

إن اليأس داء قاتل ينهى عنه الإسلام، واليأس هو الذي أوقعنا صرعى فأصبحنا كأعجاز نخل خاوية حتى تمكنت دولة غربية لا يبلغ تعدادها مليوني نسمة من التحكم في دولة شرقية مسلمة ذات العشرين مليون نسمة فتستعمرها وتسخرها في خدمتها

وهذا اليأس هو الذي قتل فينا الخصال الحميدة، وصرف أنظارنا عن النفع العام وحصرها في المنافع الشخصية.

وهذا اليأس هو الذي أمات فينا الروح المعنوية حتى تمكن الأجانب الظلمة أن يتحكموا في ثلاثمائة مليون مسلم ويكبلوهم بالأغلال.

بل لقد أصبح الواحد بسبب هذا اليأس يتخذ من فتور الآخرين وعدم مبالاتهم ذريعة للتملص من المسئولية ويخلد إلى الكسل قائلاً " مالي وللناس فكل الناس خاثرون مثلي " فيتخلى عن الشهامة الإيمانية ويترك العمل الجاد للإسلام، فما دام هذا الداء قد فتك فينا إلى هذا الحد، ويقتلنا على مرأى منا فنحن عازمون على أن نقتص من قاتلنا فنضرب رأس ذلك اليأس

بسيف الآية الكريمة { لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ }[1]

ونقصم ظهره بحقيقة الحديث الشريف " ما لا يدرك كله لا يترك جله ".

إن اليأس داء عضال للأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان، وهو المانع عن بلوغ الكمالات، ومخالف لروح الحديث القدسي الشريف: " أنا عند ظن عبدي بي " واليأس هو شأن الجبناء والسفلة والعاجزين وذريعتهم، وليس هو من شأن الشهامة الإسلامية "[2].

ثانياً:- موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

لقد علمتني زبدة تتبعاتي وتحقيقاتي في الحياة بتمخض الحياة الاجتماعية، أن الصدق هو أساس الإسلام، وواسطة العقد في سجاياه الرفيعة.

فعلينا إذن أن نحيي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية وفي نفوسنا

---

(١) سورة الزمر: آية رقم (٥٣)

(٢) خديجة النبراوي: المرجع السابق، ص١٢-١٦. بتصرف.

ونداوي أمراضنا المعنوية، فالكفر بجميع أنواعه كذب، والإيمان إنما هو صدق وحقيقة.

ولكن السياسة الغادرة والدعاية الظالمة قد خلطتا أحدهما بالأخر فاختلطت كمالات البشرية ومثلها بسفاسفها ونقائضها، وبناءاً على ذلك فلا نجاة إلا بالصدق. ؟

ثالثاً: حب العداوة:-

إنه مرض اجتماعي خطير، وحالة اجتماعية مؤسفة أصابت الأمة الإسلامية يدمى لها القلب، رغم أن أشد القبائل تأخراً يدركون معنى الخطر الداهم عليهم فتراهم ينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم.

ونظراً لضراوة العداوة والبغضاء في تفتيت عضد الأمة الإسلامية والإلقاء بها في متاهات التخلف والضياع مصداقاً لقول الحق: { وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[1]

فأن كنتم تريدون حقاً حياة عزيزة وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان فأفيقوا من رقدتكم وعودوا إلى رشدكم وأدخلوا القلعة الحصينة المقدسة { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[2] وحصنوا أنفسكم بها من أيدي أولائك الظلمة "[3].

ثم يتوجه في موضع آخر، بتوجيهه لطلابه النورانيين، ولعامة المسلمين، لرأب صدع أمة

الإسلام بقوله: " إن كنت تريد أن تعادي أحداً فعاد ما في قلبك من العداوة، وأجتهد في إطفاء نارها واستئصال شأفتها، وحاول أن تعادي من هو أعدى أعداءك وأشدهم ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك، فقاوم هواها، وأسعى إلى إصلاحها، ولا تعاد المؤمنين لأجلها.

واعلم أن صفة المحبة بذاتها جديرة بالمحبة.

---

(١) سورة الأنفال: آية رقم (٤٦)

(٢) سورة الحجرات: آية رقم (١٠)

(٣) خديجة النبراوي: يقظة الأمة، ص١٨، ١٩، سوزلر. بتصرف.

كما أن خصلة العداوة تستحق العداء قبل أي شيء آخر" [١]

ولعل الرسول الكريم منحنا بعطفه ومحبته وسائل عديدة لغرس المحبة في المجتمع الإسلامي من بينها قوله ﷺ: " ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال أفشوا السلام بينكم " [٢].

رابعا:- الجهل بالروابط النوارنية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

إن تلك الروابط من أعظم النعم التي أنعم الله بها على المؤمنين، فهم إخوة مهما تباعدت بهم الديار، ربهم واحد ٠٠ ونبيهم واحد ٠٠ وكتابهم واحد ٠٠ وقبلتهم واحدة ٠٠ وتجمعهم كلمة واحدة هي شهادة " إن لا إله إلا الله محمد رسول الله ".

فقد ألف الله بين قلوبهم برباط من نور محبته، فهو القائل سبحانه { وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [٣].

ثم يأمرهم بالاعتصام وتذكر نعمة المؤاخاة { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } [٤] ٠

ولعل إرساء دعائم الترابط والوحدة بين المؤمنين مهم للغاية خاصة في عصرنا هذا المسمى بعصر التكتلات العالمية [٥].

خامساً:- سريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوعة:

إن الاستبداد هو الديكتاتورية، أي حكم الفرد الواحد، وعلى عكس الاستبداد تأتي الشورى، وهي دعامة من دعائم الفكر السياسي والاجتماعي، يقول الحق تبارك وتعالى

---

(١) بديع الزمان النورسي:المكتوبات،ص٣٤٣، وانظر ٠ صيقل الإسلام، ص٥٠٩

(٢) حديث شريف: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٨١)

(٣) سورة الأنفال: آية رقم (٦٣)

(٤) سورة آل عمران: آية رقم (١٠٣)

(٥) خديجة النبراوي: المرجع السابق، ص٢١،٢٢. بتصرف.

لرسوله الكريم { فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ }[١] .

ورفع أنواع الاستبداد يكون بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الإيمان (وهذا ما سنتحدث عنه في الفصل الثالث من هذا البحث).

سادساً:- حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

تلك آخر الأمراض الستة التي ذكرها الإمام النورسي [٢] وهو يريد بذكره إلى ترسيخ الروح الإيمانية الملية، ليستشعر فيها كل مسلم حقيقة انتسابه إلى أمة لا يتميز مصيره الفردي في كنفها عن مصير الجماعات مهما أحاط هذا الفرد نفسه بالمزايا والامتيازات.

وفي المقابل يحارب الأنانية السافرة التي تسيطر على النفس الأمارة، والتي هي نتاج فلسفة المدنية الغربية القائمة على القوة والمنفعة، ولهذا يقول:

" أنبه هنا ببالغ الأسى والأسف إلى أن قسماً من الأجانب كما سلبوا أموالنا الثمينة وأوطاننا بثمن بخس دراهم معدودة مزورة، كذلك فقد سلبوا منا قسماً من أخلاقنا الرفيعة وسجايانا الحميدة محوراً لرقيهم وتقدمهم، ودفعوا إلينا نظير ذلك رذائل أطباعهم وسفاهة أخلاقهم .

فما أخذوه عنا: " إن مت أنا فلتحيا أمتي فإن لي فيها حياة باقية " فهذه السجية أقوى أساس وأمتنه لرقيهم وتقدمهم، قد سرقوها منا، إذ أن هذه الكلمة إنما تنبع من الدين الحق ومن حقائق الإيمان فهي لنا وللمؤمنين جميعاً.

بينما دخلت فينا أخلاق رذيلة وسجايا فاسدة، فترى ذلك الأناني يقول:" إذا مت ظمأنا فلا نزل القطر" و " إن لم أرى السعادة فعلى الدنيا العفاء "

وهناك من يقول " نفسي نفسي " ومن كانت مصلحته الشخصية طاغية ولا يبالي بمصلحة الأمة فأنه ينسلخ بذلك من إنسانيته ويصبح حيواناً مفترساً، وهذا ما ترفضه

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم (١٥٩)

(٢) خديجة النبراوي: يقظة الأمة، سوزلر، ص٢٥-٢٨. بتصرف.

الشريعة "[1].

وهكذا فإن الإمام النورسي: يرى أن أسباب تخلف المسلمين هي أسباب معنوية في المقال الأول وأس أساسها البعد عن المنهج الديني، وليست أسباب مادية ٠

فهل أن الأوان لنرتشف من نبع شريعتنا العذب، لنزيل به تلك الأمراض المعنوية التي ألقتنا في غياهب الضياع، وأقعدتنا عن معالي الأمور.

ومن أجل علاج هذه الأمراض، أفرد الإمام النورسي رسالة يبعث بها الأمل في عبور المسلمين هوة التخلف، وذلك لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ٠

ويدأ الرسالة معرفاً الأمل بأنه: شدة الاعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها ٠

ثم يقول: إن المستقبل سيكون للإسلام وحده، وإن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان، لذا فعلينا الرضي بالقدر الإلهي وبما قسمه لنا، إذ لنا مستقبل زاهر وللأجانب ماضي مشوش مختلط، ولي على ذلك القول براهين منها:-

١- استعداد الإسلام للرقي المعنوي.

٢- حاجة البشر إلى الدين.

٣- استعداد الإسلام للرقي المادي، لأن في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي قد اجتمعت وامتزجت " خمس قوي " لا تقهر وهي في منتهى الرسوخ والمتانة ٠

القوة الأولى: الحقيقة الإسلامية التي هي أستاذ جميع الكمالات ٠

القوة الثانية: الحاجة الملحة.

القوة الثالثة: الحرية الشرعية التي ترشد البشر إلى سبل التسابق والمنافسة الحقة نحو المعالي والمقاصد السامية.

القوة الرابعة: الشهامة الإيمانية المجهزة بالشفقة والرأفة.

القوة الخامسة: العزة الإسلامية التي تعني إعلاء كلمة الله، وفي زماننا هذا يتوقف

---

(١)خديجة النبراوي: المرجع السابق نفسه، ص٣٠-٣١. بتصرف

إعلاء كلمة الله على التقدم المادي...

وهنا يظهر لنا جلياً عظمة جهاد النورسي لإرجاع الأمة الإسلامية إلى ينبوع شريعتها العذب الفياض، لتخطوا خطواتها في الحياة وهي عزيزة الجانب، موفورة الكرامة، فتحقق أرقى الحضارات التي تصل الأرض بالسماء، لأنها قائمة على العلم والإيمان... [1].

(١) خديجة النبراوي: يقظة الأمة، ص٣٣، ٤١، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٨م. بتصرف.

فاعلية رسائل النور

يستحوذ على العقل كل العجب وهو يقرأ سيرة مؤلف رسائل النور (أو كما يطلق على نفسه دلال الحقائق القرآنية) والتي لا نراه فيها إلا وهو متنقلاً من سجن جماعي إلى حبس إنفرادي، ومن محاكمات إلى نفي وعزله، ومن مراقبة ليل نهار إلى اضطهاد وتوقيف ثم يتمخض من وراء ذلك كله نتاج فكري لا يقوى على الإبداع به أي عالم آخر توفرت له كل سبل الراحة والدعة، ثم نشره للحقائق القرآنية رغم القيود الصارمة والحبس والعزلة إلا أنها سرت كما يسرى الضوء ماحياً جسور الظلام الحالك.

ومما يضمه العجب في جعبته، أنك ترى أكثر ما لحق به من أذى كان من جراء الرسائل ويلحق بهذا العجب أن الكثير من الرسائل تم إحالتها لإبداء رأي الخبراء فيها، وفي النهاية يقررون براءتها وطبعها.

وفي ساحة العجب تنحني الرؤوس إعجاباً لهذا العالم الجليل الذي ضحى بالنفس والنفيس من أجل إنقاذ أمته من الوقوع في الهاوية، متحملاً في سبيل تحقيق ذلك المشاق والمصاعب فلم يلين ولم يرضخ أو يستسلم، بل حتى رسائله نفسها رفضت أن تعلن الاستسلام أو الهزيمة.

ولعل النورسي كان من الممكن أن يستسلم أمام هذا العداء السافر كإستراتيجية وقائية كما فعل بعض المصلحين (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)

فمثلاً:الإمام محمد عبده، حين وجد أن الرياح عاتية، سعى وهو في منفاه في بيروت لدى أصدقائه في مصر لمساعدته على العودة، فأتصل سعد زغلول بالأميرة نازلي فاضل وكان لها صالون يتردد عليه كبار الساسة والأدباء والمفكرين، وألح عليها أن تستخدم نفوذها عند اللورد كرومر ليتم العفو عن " محمد عبده " مقابل تعهده بعدم الاشتغال بالسياسة وعدم العداء للإنجليز، وتم العفو، مع منعه أن يمارس مهنة التدريس أو أي

نشاط دعوى "[١].

" مما كان سبباً في تعنيف الأفغاني لمحمد عبده " [٢]

بل أن الأفغاني نفسه أخذ يجوب البلاد بطولها وعرضها محارباً للاستبداد، ولكن كلما أحس بخطر داهم ترك ساحة المواجهة متنقلاً لبلد آخر، ليبدأ في ساحة أخرى لم تنضج فيها نار العداوة ضده بعد.

ولعل هذا يبرز لنا ما لاقاه دعاتنا المصلحين من عناء وكفاح من أجل الإصلاح في العالم الإسلامي.

لكن النورسي رفض أن يترك الساحة حتى تحقق النصر متأسياً بمنهج الرسول المعصوم " والله لو ضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ".

ولكن كيف يتحقق النصر له ولرسائله..

الجواب: أن النورسي هزم أعداء الإسلام بحقائق القرآن، إن فك شفرة نصر رسائل النور ومؤلفها يكمن أولاً في الإخلاص، وثانيها تقوى الله، وثالثها الاعتماد على الله

وقبل هذا وذاك لأنه خادم ومفسر للقرآن، والمولى تعهد بحفظ من يحفظه كما قال رسولنا محمد ﷺ: " أحفظ الله يحفظك " [٣] وتعهد بحفظ كتابه {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [٤].

ويسرد النورسي في " اللمعة العشرين " قول الرسول الأعظم ﷺ:" هلك الناس إلا العالمون وهلك العالمون إلا العاملون وهلك العاملون إلا المخلصون والمخلصون على

---

(١) السيد يوسف: رائد الاجتهاد والتجديد في العصر الحديث الإمام محمد عبده، ص٤٠، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة، ٢٠٠٧م.

(٢) السيد يوسف- رائد الاجتهاد والتجديد محمد عبده – ص٣٤ وأنظر ص٤١.

(٣) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، رقم (٢٤٤٠)

(٤) سورة الحجر: آية رقم (٩).

خطر عظيم " وقول الله تعالى { فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۞ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ }[١]

فالإسلام يبرز أهمية الإخلاص لأنه مـ هم ناجح، ولكي ينال المرء شرف امتثال الآية الكريمة {إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ }[٢]

وتزيا النورسي بلباس التقوى فنجاه الله ونجى رسائله من كيد الأعداء، بل إن الأعداء كانوا وسائل دعاية لنشرها، وصدق الله فيما قال { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }[٣] وباعتماده على الله وتوكله عليه سهل الله له نشر المعرفة والحقائق القرآنية.

ولعلنا لم نكن أول من يسأل لماذا لا تهزم رسائل النور ومؤلفها؟ فلقد سبقنا من سأل به النورسي.

فها هو النورسي يقول: " لقد سألني الكثيرون وسألوا بعض إخواني النوريين ومازالوا يسألون: لماذا لا تهزم " رسائل النور" أمام هذا الحشد الغفير من المعارضين والفلاسفة المتعنتين وأرباب الضلال ؟ فعلى الرغم من إقامتهم سداً منيعاً- إلى حد ما- ليحول دون انتشار ملايين الكتب الإيمانية والإسلامية القيمة، وعلى الرغم من حرمانهم الكثير من الناس - ولاسيما الشباب الأبرياء - من حقائق الإيمان، بتسهيل سبل السفاهة لهم وإغرائهم بملذات الحياة الدنيا.

وعلى الرغم من محاولتهم كسر شوكة رسائل النور بشتى وسائل الغدر وأساليب الهجوم العنيف، واختلاق الأكاذيب، وإشاعة الدعايات الزائفة، وتخويف الناس منها وحملهم على التخلي عنها.

وعلى الرغم من ذلك، فقد انتشرت رسائل النور.

فما الحكمة من انتشارها انتشاراً لم يسبق له مثيل، حتى بلغ ما نسخ من معظمها باليد

---

(١) سورة الزمر: آية رقم (٢-٣).

(٢) سورة هود: آية رقم (٢٩).

(٣) سورة الطلاق:آية رقم (٢- ٣).

فقط ستمائة ألف نسخة، وهي تحظى بانتشار واسع، ويتلقاها الناس بشوق بالغ في الخفاء وتستقرئ نفسها في داخل البلاد وخارجها بكمال المسرة والمحبة ؟.

فجواباً عن أسئلة كثيرة ترد بهذا المعنى نقول: الجواب:

أن رسائل النور التي هي تفسير حقيقي للقرآن الكريم، ببيان إعجاز معانيه الجليلة تبين أن في الضلالة جحيماً معنوياً في هذه الدنيا.

كما ثبت أن في الإيمان نعيماً معنوياً في الدنيا أيضاً، وهي تبرهن أن في المعاصي والفساد والمتع المحرمة آلاماً معنوية مبرحة.

كما أن في الحسنات والخصال الحميدة والعمل بالحقائق الشرعية لذائذ معنوية أشبه ما تكون بملذات الجنة، فهي بهذا الأسلوب تنقذ من كان له مسكة من عقل من أهل السفاهة وأرباب الضلالة من التمادي في غيهم، وهذا هو النهج الذي تسير عليه رسائل النور، حيث أن حقائق القرآن المتجلية في رسائل النور، هي التي تستطيع قطع دابر الإلحاد وعناد أهل الضلالة المتمرد في زماننا هذا واستئصال شافتهما "[1].

ثم يبين في موضع آخر، أن رسائل النور ألزمت أعدائها الحجة وألجأتهم إلى التقهقر والاستسلام فيقول: " إن رسائل النور قد أظهرت خدماتها كسيف الماسي قاطع بيد هذه المعجزة الكبرى، حتى ألزمت الحجة أعدائها العنيدين، وألجأتهم إلى الاستسلام.

ثم يبين أنها انتصرت على أشد الزنادقة تعنتاً وقضت عليهم ودكت أقوى قلاع الضلالة فيقول: " وإنها إذ تقوم بمهمتها خير قيام، انتصرت في الوقت نفسه على الدعايات المغرضة الظالمة التي يشيعها أعداؤها، وقضت على أشد الزنادقة تعنتاً، ودكت أقوى قلاع الضلالة التي تحتمي بها وهي " الطبيعة " برسالة " الطبيعة ".

كما بددت الغفلة وأظهرت نور التوحيد في أوسع ميادين العلوم الحديثة وأشد الظلمات الخانقة للغفلة بالمسألة السادسة " للثمرة ".

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٨٢-٤٨٨، سوزلر. بتصرف.

وبالحجج الأولى والثانية والثالثة... والثامنة من رسالة " عصا موسى "[١].

وظهر للعيان تحطم الغفلة والضلالة والطبيعة الجامدة الصماء تحت ضربات سيف القرآن الألماسي، وافتضحت الصورة الحقيقية للسياسة الدولية الشوهاء الغدارة، والتي هي أوسع ستار وأكثفه لإغفال الناس وإضلالهم، وأشد خنقاً وخداعاً لروحهم "[٢].

(١) بديع الزمان النورسي: الموازنات، ص٦٩، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٢) بديع الزمان: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم، ص١٧٢، سوزلر، القاهرة.

النورسي وسلام الحسبية

يقول النورسي: " حينما جردني أرباب الدنيا من كل شيء، وقعت في خمسة ألوان من الغربة وانتابتني خمسة أنواع من الأمراض الناشئة من الآلام والعنت في زمن الشيخوخة، ولم التفت إلى ما في رسائل النور من أنوار مسلية وإمدادات مشوقة- جراء غفلة أورثها الضجر والضيق- وإنما نظرت مباشرة إلى قلبي وتحسست روحي وقلت في حالتي هذه مثلما قال الشاعر المحترق الفؤاد:-

حكمة الآله تقضي فناء الجسد والقلب تواق إلى الأبد.

فطأطأت رأسي يأساً، وإذا بالآية الكريمة: " حسبنا الله ونعم الوكيل " تغيثني قائلة: أقرأني جيداً بتدبر وإمعان.. فقرأتها خمسمائة مرة كل يوم، وكتبت تسعاً فقط من أنوارها ومراتبها القيمة الغزيرة التي انكشفت لي بعين اليقين، أما تفاصيلها المعروفة بعلم اليقين لا بعين اليقين فأحيلها إلى رسائل النور "[1].

فبسر هذه الآية الكريمة تم تحريره وفك أسره وشفاؤه من جميع الأدواء المتنوعة الغائرة في قلبه ونفسه ورفع الستار، وأحس وشاهد وتذوق بحق اليقين، ثم شرح تفاصيل ذلك في رسائل النور بعلم اليقين لا بعين اليقين على " ست مراتب " سمي فيها كل مرتبة " بالمرتبة النورية الحسبية " ومجمل هذه المراتب يبين فيها ما لاقاه من أمراض وأوجاع وآلام وعنت.

المرتبة الحسبية الأولى:

وفيها يبين عشقه للبقاء، ولكن ما أن جأت " حسبنا الله ونعم الوكيل " حتى تذوق بحق اليقين أن لذة البقاء وسعادته هو الإيمان والإذعان والإبقاء ببقاء الباقي ذي الكمال، إذ يتقرر بشعور إيماني " أن ماهيتي تكون ظلاً لأسم باق، لأسم سرمدي، فلا تموت " واقتنعت نفسي أن أكون كالبذرة التي تترك قشرتها لتتحول إلى شجرة باسقة مثمرة، أي أقنعتها أن تترك بقائي الدنيوي الشبيه بالقشرة لتعطي ثمرات باقية، فقلت مع نفسي

(١) بديع الزمان: الشعاعات، الشعاع الرابع، ص٦٩-٧٣ بتصرف واختصار.

(حسبنا الله ونعم الوكيل) نعم حسبنا بقاءه سبحانه.

المرتبة النورية الحسبية الثانية:-

أنه مع عجزي غير المتناهي الكامن في فطرتي ومع الشيخوخة المستقرة في كياني ومع تلك الغربة التي لفتني ومع عدم وجود المعين لي وقد جردت من كل شيء، حيث هاجمني أرباب الدنيا بجواسيسهم وبدسائسهم... في هذا الوقت بالذات خاطبت قلبي قائلاً: " إن جيوشاً كثيفة عارمة تهاجم شخصاً واحداً ضعيفاً مريضاً مكبل اليدين، أوليس له- أي لي- من نقطة استناد؟ فراجعت أية " حسبنا الله ونعم الوكيل " فأعلمتني إنك تستند بهوية الانتساب الإيماني إلى سلطان عظيم ذي قدرة مطلقة بحيث يجهز بانتظام تام في كل موسم ربيع على سطح الأرض جميع جيوش النباتات والحيوانات المتشكلة من أربعمائة ألف نوع من الأمم والطوائف بالأعتدة والأجهزة اللازمة لها، فكنت أشعر أنني أملك من الاقتدار الإيماني ما يمكنني من أن أتحدى بها جميع أعدائي في العالم وليس الماثلين أمامي وحدهم.

وراجعت الآية الكريمة لاحتياجي وفقري إلى نقطة استمداد مهماً: فقالت لي: إنك منتسب إلى مالك كريم بعبوديتك وبمملوكيتك واسمك مسجل في دفتر إعاشة المخلوقات، لذا رددت ومن أعماق قلبي وروحي.. نعم... نعم إنه الصدق بعينه.

فرددت متوكلاً على الله " حسبنا الله ونعم الوكيل "[1]

المرتبة النورية الحسبية الثالثة:-

"حينما أشتد خناق الأمراض وألوان الغربة وأنواع الظلم علي، وجدت أن علاقاتي تنفصم مع الدنيا، وأن الإيمان يرشدني بأنك مرشح لدنيا أخرى أبدية، فراجعت بدوري الآية الكريمة " حسبنا الله ونعم الوكيل " واستلهمت منها أن لي رباً عظيماً يفتح صور مئات الألوف من أنواع الحيوانات وأصناف النباتات باسمه الفتاح بسهولة ويسر وفي غاية السرعة والإتقان، وقد أولى سبحانه هذا الإنسان أهمية عظيمة تحير العقول، حتى جعله مداراً لشئون ربوبيته الجليلة.

---

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٧٣-٧٥.

نعم هذا ما تعلمته من " حسبنا الله ونعم الوكيل "[١].

المرتبة النورية الحسبية الرابعة:

" حينما وافقت العوارض المزلزلة لكياني أمثال الشيب والغربة والمرض وكوني مغلوباً على أمري فترة غفلتي وكأن وجودي الذي أتعلق به بشدة يذهب إلى العدم، بل وجود المخلوقات كلها يفني وينتهي إلى الزوال... ولد عندي ذهاب الجميع إلى العدم قلقاً شديداً واضطراباً أليماً فراجعت الآية الكريمة: " حسبنا الله ونعم الوكيل " فقالت ... تدبر في معاني وأنظر إلى بمنظار الإيمان.

وأنا بدوري نظرت إلى معانيها بعين الإيمان، فرأيت أن وجودي الذي هو ذرة صغيرة جداً، مرآة لوجود غير محدود، ووسيلة للظفر بأنواع من وجود غير محدود بأنبساط غير متناه، وعلمت أن هناك وصالاً دائماً مع جميع ما أحبه من الموجودات من خلال فراق مؤقت "[٢].

المرتبة النورية الحسبية الخامسة:

" لقد تصدعت حياتي حيناً تحت أعباء ثقيلة جداً حتى لفتت نظري إلى العمر وإلى الحياة فرأيت أن عمري يجري حثيثا إلى الآخرة وأن حياتي التي قربت إلى الانتهاء قد توجهت نحو الانطفاء تحت المضايقات العديدة، ولكن الوظائف المهمة للحياة ومزاياها الراقية وفوائدها الثمينة المذكورة في الرسالة التي تبحث عن أسم " الحي " لا تليق بهذا الانطفاء السريع بل تليق بحياة طويلة عديدة، ففكرت في هذا بكل أسى وألم، وراجعت أستاذي الآية الكريمة: " حسبنا الله ونعم الوكيل " فقالت لي أنظر إلى الحياة كما يريدها " الحي القيوم" الذي وهب لك الحياة، فنظرت إليها بهذا المنظار، وشاهدت أنه إن كان للحياة وجه واحد متوجه إلى " أنا " فإن لها مائة وجه متوجه إلى " الحي القيوم ".

.. ثم يبين هذه الحقيقة بأربعة براهين، ومن خلالها يوضح حقيقة الحياة وحقوقها

---

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٧٥-٧٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٧٩- ٨١. بتصرف.

ووظائفها ولذاتها المعنوية " إن الحياة كلما توجهت إلى الحي القيوم وكان الإيمان حياةً وروحاً ممداً لها اكتسبت البقاء، بل أعطت ثماراً باقية، بل رقت وعلت إلى درجة الخطوة يتجلى السرمدية، وعندها لا ينظر إلى قصر العمر وطوله...

نعم هكذا فهمت من الآية الكريمة، وتلقيت درسي منها، وتلوت " حسبنا الله ونعم الوكيل" نيةً وتصوراً وخيالاً بأسم جميع أنواع الحياة وذوي الحياة "[١]

المرتبة النورية الحسبية السادسة: -

" من خلال الشيب الذي يذكر بفراقي الخاص، ومن خلال تلك الفراقات العامة الشاملة التي تنبئ عن حوادث قيام الساعة ودمار الدنيا ومن خلال الانكشاف الواسع فوق العادة في أواخر عمري لأحاسيس الجمال والعشق له والافتتان بالكمالات المغروزة في فطرتي، لم يكن لي منها إلا مراجعة الآية الكريمة (حسبنا الله ونعم الوكيل) لأجد المتنفس والسلوان فقالت لى " إقرأني جيداً، وأمعن النظر في معاني "

وأنا بدوري دخلت إلى مركز الأرصاد لسورة النور لآية " الله نور السموات والأرض " فنظرت من هناك " بمنظار الإيمان" إلى أبعد طبقات الآية الحسبية، وفي الوقت نفسه نظرت " بمجهر" الشعور الإيماني إلى أدق أسرارها، فرأيت أن المصنوعات والمخلوقات والموجودات اللطيفة والجميلة لا تلبث أن تذهب دون توقف لتقوم مقام مرايا عاكسة للجميل ذي الجلال الذي هو " نور الأزل والأبد ".

ثم يبين النورسي بعد سرد البراهين وما يتعلق بها من نكات، أن الوجود منبع الجمال فيقول: " فما دام منبع جميع أنواع الجمال هو الوجود، ومنبع جميع أنواع القبائح هو العدم، فلا شك أن أقوى وجود وأعلاه وأسطعه وأبعده عن العدم هو وجود واجب أزلي وأبدي، وهو يتطلب أقوى جمالاً وأبعده عن القصور، بل يعبر عن مثل هذا الجمال، بل يكون هذا الجمال..، أذ كما تستلزم الشمس الضياء المحيط بها، يستلزم الواجب الوجود جمالاً سرمدياً أيضاً فينور به "[٢].

---

(١) بديع الزمان النورسي، الشعاعات، ص٨١- ٨٤. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي، الشعاعات، ص٨٥-٩٤. بتصرف.

وفي النهاية يتبين لنا أنه بسلاح الحسبية الذي استخدمه النورسي استطاع أن ينقذ نفسه من ألوان الغربة ومن الأمراض الناشئة ومن الآلام والعنت والشيخوخة وحب البقاء، ووجد فيها المعين والمرشد والحصن الحصين ليدافع عن الحقائق القرآنية وعن الأمة الإسلامية.

وكذلك وجد في سلاح الحسبية نقطة الاستناد والاستمداد لمواجهة الجيوش الكثيفة والعارمة التي تقوم بمهاجمته وتكبيل يديه لكي لا يتنعم بحريته، ولكن بسر هذه الآية الكريمة حطم قيود الاستعباد النفسي والمعنوي والمادي.

وبهذا السلاح استطاع أن ينتصر لنفسه ولأمته، وبمدد الفيوضات الحسبية استطاعت الرسائل أن تشق طريقها في حرية لنشر المعرفة الإيمانية وردع الموانع من حولها ودفع الأضرار عنها وتأديب من يعيق سيرها بإنزال عقوبات ولطمات بهم.

" وخلاصة القول: أنه على أبناء الأمة الإسلامية وأبناء كل عصر التشبث بحبال الإنقاذ الممدودة إليهم من عالم الوجود الحق، والتمسك بها بقوة وحزم، والصراخ في وجه كل ظلمات دنيا العدم بـ " حسبنا الله ونعم الوكيل " أي:-

حسبنا واجب الوجود من عدميات الممكنات...
حسبنا الواحد الأحد من شتات الكثرة...
حسبنا مسبب الأسباب إذا ما استزقتنا الأسباب..
حسبنا الله سنداً ومعيناً إذا ما تهاوى الإسناد وعز الصاحب والمعين..
حسبنا الله ناصراً ومؤيداً إذا ما تخلى عنا النصراء والمؤيدون..
حسبنا الله أنيساً في وحشتنا وصاحباً في غربتنا..
وبعد: حسبنا الله الموجود الموجد خالق الموت والحياة إذ ما جاءنا الموت وتهددنا العدم
فالتشبث بالباقي الأزلي... بقاء.... والتعلق بالوجود الحق... وجود
والارتباط بالحي الذي لا يموت... حياة

فهذه الرسالة (الشعاع الرابع، زاد الغرباء) تحمل العزاء العظيم للمسلمين المغتربين في هذا العصر، وتزجي الأنس للمستوحشين المنعزلين في جزر غربتهم، وتشيع الأمن

والاطمئنان في نفوس الخائفين المرعوبين من وحش الفناء والعدم، وتمحو الاستبداد والأسر النفسي والمعنوي الذي قد يسيطر على الإنسان بسبب خوفه على الرزق والأجل، وخوفه من الأعداء والوحوش المبثوثة على سطح هذا الكون، فتمنحه بذلك قدراً كبيراً من الحرية، لكي يتعامل مع بني جنسه دون أن يسترقه أحد بسبب الرزق أو الأجل، لان زمام أمرهم في يد الله ويتعامل بحرية في هذا الكون الذي سخره الله له وجعله مستخلفاً فيه...والاهم أنها تنجي الإنسان من أسر الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

فحسبنا الله ونعم الوكيل عند النورسي، تمنح الإنسان حرية الباطن والظاهر، وتحرره من الأوهام والخيالات والشطحات، وتجعله يتعامل مع من حوله والكون بأسره بواقعية وفاعلية.

والنورسي - رحمه الله - هذا الإنسان الغريب في قومه ووطنه، يملي هذه الرسالة ويشرح فيها تجربته الذاتية، وخبرته ومعاناته من أنواع كثيرة من الغربة والاغتراب، ويصف فيها الدواء لنفسه، والضمادة لجراحات غربته، وهذا دواء النصر لكل مغترب من المسلمين يعاني من عذابات غربته، وآلام وحشته، وقلق خوفه ورعبه.

وهي دواء للمبدعين والمصلحين الذين يحسون بأنهم غرباء في أوطانهم وأزمانهم بغربة ما يملكون من فكر ووجدان لم تتهيأ الأوطان والأزمان بعد لقبوله والتواصل معه، إلا أنهم يمضون في أداء رسالتهم بحرية، على أمل أن يأتي ذلك الزمان الذي يفهم ويقدر، وتستوعبه العقول التي كان يسيطر عليها الاستبداد الفكري، توهماً منها أنها تملك ناصية الحقيقة.

وصدق رسول الله ﷺ حين قال:" بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء " رحم الله النورسي عاش غريباً، ومات غريباً، وأخصبت غربته هذه الآثار الفكرية والوجدانية التي يتتلمذ عليها الآلاف من غرباء هذا العصر من المسلمين " [1].

(١) أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية، ص١٦٠-١٦١، مركز الكتاب، القاهرة،١٩٩٧م بتصرف.

دور رسائل النور

لقد ضربت رسائل النور بجذورها في أعماق المجتمع التركي، وكان لها دورها الفعال والحيوي في مواجهة الظلم والاستبداد، وألزمت الحجة أعدائها، وأدخلتهم جحورهم وحمت المجتمع التركي من سمومهم.

وكان لها دورها الفعال والحيوي في تغيير الكثير من المخططات العدائية للإسلام، وإجهاضها لقرارات أرادت طمس العقيدة وثوابتها، ومن ذلك إجهاضها " لترجمة القرآن " إلا أن" رسائل النور" بفضل الله قد شلت تلك الفكرة، وأجهضت تلك الخطة بحججها الدامغة وبانتشارها الواسع في كل مكان "[١].

ولم تقف الرسائل عند حد الصد فقط دون الهجوم، بل يظهر دورها الفعال في علاجها الكثير من القضايا، أهمها: أنها عالجت قضايا عقدية بأسلوب سهل ميسر ومبسط وبعيداً عن التعقيدات اللغوية، وبما يوائم متطلبات العصر.

ومن هذه القضايا التي سجلتها رسائل النور (رسالة مرشد الشباب) قضية الموت الذي لا مفر منه، ولقد حلت رسائل النور لغز هذه الحقيقة المدهشة وكشفتها، وخلاصتها هي:-

" ما دام الموت لا يقتل وباب القبر لا يغلق فأن أعظم ما سيشغل بال الإنسان ويشكل أكبر معضلة له هو النجاة من يد جلاد الموت هذا، والخلاص من سجن القبر المنفرد "[٢].

فيا أيها الإنسان لا تتوهم أنك ماضي إلى الفناء والعدم والعبث، بل أنت ذاهب إلى البقاء وأنت مسوق إلى الوجود الدائم، وأنت ماضي إلى عالم النور، وأنت عائد إلى مقر سلطان الكون سلطان الوجود، وأنت سائر نحو مولاك ومالكك الحق، فأنت متوجه إلى اللقاء والوصال دون البعاد والفراق "[٣] ويتحقق ذلك بلحظة في سبيل الله، يحيا فيها قلبك وروحك

---

(١) بديع الزمان النورسي: الموازنات، ص١٣٧، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٢٤٣.

(٣) بديع الزمان النورسي: من كليات رسائل النور(أنوار الحقيقة)، ص٥٢، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٦.

وكان لرسائل النور دورها الفعال في ترسيخ أسس الإيمان والأخلاق في المجتمع وتأصيل منهج الأخوة والإخلاص.

" ورسائل النور لا تعد مجرد سجل ديني يهدف إلى الحفاظ على العقيدة الإسلامية وترسيخ الأسس الأخلاقية فقط، بل إنها تعالج أكثر القضايا إلحاحاً والتي تعتور عقول المسلمين في العصر الحديث خاصة في تركيا، ومن ذلك سعيها لكي تعيد إلى عقل المسلم صحوته الغائبة فيصبح عقلاً حركياً فاعلاً، وتدير في مغاليقه مفاتيح الأفكار وترجع لخلاياه الكسول الحيوية والنشاط وتبعده عن حالة الاسترخاء والجمود، وتمني قدرته على دقة الملاحظة وذكاء اللمحة وسعة النظر والخيال.

وهذه هي أشراط ولادة الفكر الإيماني الحي الذي بشر به النورسي وغرسه في رسائله لتؤدي هي بدورها الفاعلية والحيوية في المجتمع "[1]

ومما يظهر دور رسائل النور الفعال والحيوي هو معالجتها لموضوع الحداثة الأوروبية في شيء من الحذر على أقل تقدير لها، فهي لا تقبل الكثير من مزاعمها المعرفية، ولا ترحب بالأخلاقيات التي تنادي بها، بل تفرق بين أوربيتين، أوربا تتمسك بالعلوم والتكنولوجيا وأوربا التي تبذر بذور العلمانية والمادية ٠

ومن هنا فالرسائل تدعونا إلى إعمال الفكر في العملية التاريخية الحديثة، وتنادي بوجوب إبتكار منهج ديني ناضج راشد يمكننا من التعامل مع هذه التحولات وتلك الحداثة وبشيء من الحذر.

ولقد لحق النورسي بقائمة المفكرين المسلمين المحدثين من ذوي العراقة، وممن نقب في أسباب انحطاط العالم الإسلامي، وأنار السبيل إلى كيفية النهوض به مرة أخرى ٠

ونلمس الدور الفعال والحيوي لرسائل النور في " تجسيدها وتسجيلها تسجيلاً أصيلاً حياة عاشها مفكر إسلامي يتصف بحساسية عميقة والتزام راسخ "[2] لتقف بمن لم يكن

(١) أديب إبراهيم الدباغ: هوامش على فكر النورسي، ص٢١، مؤتمر٩٩٢، سوزلر.

(٢) د/ إبراهيم أبو ربيع: الإسلام على مفترق الطرق، ص١٠، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥. بتصرف

له حظ في رؤية ومعايشة هذا العالم الفذ على شاطئ حياته.

فمن أجل التعرف على النورسي بعد موته يمكن التعرف عليه من خلال رسائله، عندئذ تحس بأنك شاخص أمام هذا الإمام المصلح.

فرسائله كينونة فكرية وروحية متكاملة، أستطاع النورسي أن يضمنها ماهيته على صعيد تجربة العمر في مختلف امتداداتها، واستوعبت قطاعات حياته في أطوارها المختلفة وعكست مضامينها الروحية والوجدانية خلجاته وانفعالاته واستبصاراته وحميته ومزاجه ورجاحته وتصميمه وبسالته بصورة جلية ومن زوايا رصد كثيرة..

ومن هنا انتصبت رسائل النور لا لتنوب عن واضعها في تأدية خطابه للعالمين فقط ولكنها جاءت لتثبت له الحضور الحيوي، ولتجعل صوته يرتفع، وتجعل من غيبته وارتحاله حضوراً واقعياً يسترسل في الزمن.

" فالرسائل هي النورسي نفسه وهو يعيش نعمة الخلود، والرسائل نفسها تؤدي دورها الفعال لإنقاذ الإيمان "[1].

ونلمس دور رسائل النور الفعال والحيوي في تحديها فكرياً ودينياً للنظام العلماني.

ومما يدل على ذلك: أن النظام العلماني حين أحس أنها تسبق البرق في نشر حقائق الإيمان، كون لجنة من هيئة الخبراء المتخصصين، فكانت محلاً لبحثهم مرات ومرات لعلهم يستطيعون أن يجدوا ما يستندون إليه لمنع انتشارها ووقفها.

بل لا نتجاوز الحقيقة بأنه كان لها دورها الفعال في تبرئة مؤلفها من الكثير من التهم المنسوبة إليه، وذلك بناءاً على ما قرره الخبراء بأنه لا يهدف من وراء رسائله إلى تكوين منظمة وليست لها صلة بالسياسة.

ويؤكد النورسي على دور رسائل النور الفعال لبرهنتها على صدق نبوة الحبيب محمد ﷺ حيث يقول: " وما رسائل النور بأجزائها التي تزيد على المائة إلا برهاناً واحد فقط على

---

(١) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٥، سوزلر. بتصرف.

صدق وصواب هذا النبي "[١].

بل إن موازين رسائل النور رسخت دورها الفعال وأثمرت بحيويتها ثمار الإيمان حتى مع من لا دين لهم، ووضحت حقائق القرآن وسماحة واعتدال الإسلام، حيث يقول النورسي في المكتوبات: " فلله الحمد والمنة، إن موازين رسائل النور قد بينت ثمرات الدين الإسلامي وحقائق القرآن ونتائجها بياناً شافياً وافياً - بفيض الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم - بحيث لو فهمها حتى من لا دين له لا يمكن أن يكون غير موال بها ٠

وقد أظهرت هذه الرسائل دلائل الإيمان والإسلام وبراهينها كذلك قوية راسخة، بحيث لو فهمها غير المسلم يصدق بها لا محالة، ويؤمن بها رغم بقائه على غير الإسلام ٠

نعم، إن " الكلمات " قد وضحت ثمار الإيمان والإسلام توضيحاً جميلاً حلواً كجمال ثمار طوبي الجنة ولذتها، حتى أنها تمنح من رآها وأطلع عليها وعرفها الولاء والانحياز التام والتسليم الكامل "[٢]

ويكشف النورسي عن دور رسائل النور الحيوي والفعال بأنها كانت سبباً في تليين قلوب الأعداء، حيث يقول: " بعد مرور فترة وجيزة لم يتمكن أعداء رسائل النور المستترون أن يتحملوا تلك الفتوحات النورية، فنبهوا المسؤلين في الدولة ضدنا وأثاروهم علينا فأصبحت الحياة - مرة أخرى- ثقيلة مضجرة، إلا أن العناية الإلهية تجلت على حين غرة حيث أن المسئولين أنفسهم - وهم أحوج الناس إلى رسائل النور - بدأوا فعلاً بقراءة الرسائل المصادرة بشوق واهتمام وذلك بحكم وظيفتهم.

واستطاعت تلك الرسائل بفضل الله أن تلين قلوبهم وتجعلها تجنح إلى جانبها، فتوسعت بذلك دائرة مدارس النور، حيث أنهم بدأوا بتقديرها والإعجاب بها بدلاً من جرحها ونقدها فأكسبتنا هذه النتيجة منافع جمة، إذ هي خير مائة مرة مما نحن فيه من الأضرار المادية وأذهبت ما نعانيه من اضطراب وقلق "[٣].

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٢٨٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٤٢.

(٣)بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٣٩٤.

ثم يبين في موضع آخر: " بأنهم لم يتمكنوا (أي الزنادقة والماديون) أن يتعرضوا لقلعة رسائل النور الفولاذية ولا أن يمسوا اعتدتها البالغة مائة وثلاثين عتاداً.

لذا فمن أراد أن يوكل محامياً يدافع عن قضيته يكفي أن يتحصن بها ويقتبس من نورها ٠٠ فيا أيها الأخوة: لا تخافوا ٠٠ إن رسائل النور لن تمنع عن الأنظار ولن تحجب عن الرؤية ولا ترفع من الأوساط بإذن الله، إذ يتداولها نواب البرلمان وأركان الدولة بحرية تامة " [١].

ويظهر لنا جلياً دور رسائل النور الحيوي والفعال من خلال المحور الذي تتمحور حوله ؟

إنه باختصار شديد: " الإنسان ٠٠ هذا الإنسان الذي تريد له أن يدرك أن دنياه لا تقل غرابة عن أخرته، وأن الدنيا لا شيء، بينما الإنسان كل شيء، ومآله الآخروى هو أعظم الأشياء وأكثرها أهمية وخطورة " [٢]

" وتريد أن تشربه إكسير الإيمان، لأنه إذا دخل في القلب يصير الإنسان جوهراً لائقاً للأبدية والجنة، وبالكفر يصير خزفاً فانياً " [٣].

ومن أجل ذلك أشعلت في الإنسان نوراً إيمانياً يبصر به مواقع الزلل والخطأ في الفكر والسلوك، ويضع يده على مفاتيح الحق والعدل والجمال في النفس والحياة، وتحذره من السقوط في مهاوي " أنا " داخل النفس، وتحذره من السقوط في سجن الكون خارج النفس.

وفي المقابل تبرز له أن " الإنسان هو حجة القرآن على الإنسان نفسه " وأنه غيب في هيكل شهودي، ولا تقف به عند هذا الحد، بل تستجمع كل طاقاته ولطائفه، وتستنفر قوى العقل والحس والشعور والخيال والحدس للوصول والترقي للمعرفة الإلهية، ونقل الحقائق القرآنية وصورها، من الإطار الذهني غير المرئي إلى الإطار الحسي المشهود، وفتح

---

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٢٥٤.

(٢) أديب الدباغ: هوامش على فكر النورسي، ص١٧، مؤتمر، سوزلر، ١٩٩٢.

(٣) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي النوري، ص١٥٨، سوزلر، القاهرة.

مغاليق هذا الوجود "[١].

ولعل ما سبق ذكره يبين لنا حيوية رسائل النور، وأنها ليست مسائل علمية عقلية وحدها، بل أيضاً مسائل قلبية وروحية وأحوال إيمانية، فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة،ومعارف ربانية سامية[٢].

ومن خلال ما تم عرضه كلمحة سريعة عن دور رسائل النور الحيوي والفعال يتجلى لنا أهمية هذه الرسائل وحاجتنا في هذا العصر للاستعانة بها كزاد نتزود به في حياتنا لنعبر إلى رحلة الآخرة في سكينة وطمأنينة.

ومما يؤكد أهمية هذا الاحتياج أنها لا تقف بنا عند حد الركون انتظاراً للموت الذي يصير بنا إلى الآخرة، بل إنها تنمي روح العمل والإنتاج، وتدفع بالإنسان لكي يكون حركياً وفاعلاً لتعمير هذا الكون الذي استخلفه الله عليه، وأودع فيه من أسمائه ما جعل منه مرآة عاكسة لتجلياته وأسمائه الحسنى.

وتلح الحاجة إلى رسائل النور لأنها تغرس روح العمل الجماعي، وترسم ملامح " الإنسان الكامل الجمعي " كما ينبغي أن يكون ٠

وتحاول أن تبعثه مثالاً حياً بشموخه ونبله وعمق إيمانه وسعة عقله وطهر سلوكه ونقاء روحه وضميره ٠

وفي المقابل تروض وتشجع على تحطيم صنم " الأنا " وتدفع إلى ترسيخ الأخوة والإخلاص.

هذا بالإضافة إلى أنها طبيب ماهر يجد كل مريض يعرض نفسه عليها علاجه النافع، وليس أدل على ذلك من كشفها عن الأمراض التي أصابت الأمة، ثم وضعها للعلاج بقتل اليأس وبث روح الأمل، وهو ما أحوجنا إلى تطبيقه واقعاً عملياً بيننا.

" كما أنها تعمل على ترتيب حظيرة العقل المسلم وإيقاظ ضميره وقطع خط الرجعة

---

(١) أديب الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية، ص١٠ - ١٥، الكتاب للنشر،٩٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤٥٩.

على البيئة الإسلامية لئلا تعاود سكونيتها الكهفية التي رانت عليها زمناً بعيداً.. وغير هذا وذاك، إرسائها لمشروع حضاري لا يناط بمهمة فرد أو جيل أو حقبة، ولكنه مشروع يسترسل في الزمن، ويمضي على هدي السماء، لا يتصادم مع طبيعة الارتقاء الذي جعله الله سنة الوجود، وخاصية إنسانية يتأهل بها الكائن البشري لمهمة الاستخلاف "[١].

وتكمن الحاجة إلى رسائل النور وخاصة في عصرنا الحاضر بل وفي كل عصر لأنها " تسعى لتأسيس الأمن والنظام والحرية والعدالة "[٢].

فحاجة الإنسان إلى رسائل النور كحاجته للخبز..

نعم إن الذي يقرأ رسالة من رسائل النور يظل في نشوة روحية وشد روحي معها حتى لكأن الرسالة قد كتبت له بالذات، لذا فهو يطالعها باستمرار، ويشعر بحاجة دائمة إليها، ويحس شوقاً هائلاً نحوها.

ومجمل القول: " أن رسائل النور تنور هذا العصر والذي يليه، وتخاطب الإنسانية قاطبة بحقائق القرآن، فتستجيب لحاجات الإيمان والإسلام والفكر والروح والقلب والعقل كافة بما يكفي كلاً منها، وما من حدث أو مشكلة إلا والرسائل بحثتها وحلتها سواء منها النفسية أو العائلية أو الاجتماعية أو السياسية " [٣].

---

(١) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٦، ٧. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ٣٣٤.

(٣) إحسان قاسم: بديع الزمان نظرة عامة، ١٨٣، ١٨٤. بتصرف.

مدرسة رسائل النور

لا يمكن الحديث عن حياة النورسي ورسائله دون الحديث عن طلاب النور، فهم جزء لا يتجزأ ولا ينفصل عن حياته ورسائله .

فأينما ذكر النورسي ذكر طلابه، وأينما ذكرت رسائل النور ذكر النورسي وطلابه .

وأينما ذكر طلابه ذكر النورسي ورسائله، فهم جسد واحد على شكل هرمي مثلث له زوايا ثلاث، إحدى طرفي قاعدته رسائل النور، والطرف الآخر طلاب النور، ويمثل النورسي قمة هذا الهرم، بل ومحصناً لقاعدة هذا المثلث بطرفيه في قلعته العملية والعلمية الإيمانية لينشئ ويفرخ في داخلها الجيل المسلم نشأة منهجية، تربوية، عصرية، وأن يغرس فيهم النور محل الظلام، ويسلك بهم طريق العلم بدلاً من الجهل، والإيمان بدلاً من الإلحاد .

ولقد كان النورسي يصرح بذلك قائلاً: " يا طلاب رسائل النور ويا خدام القرآن نحن جميعاً أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية، جديرة بأن يطلق عليها: الإنسان الكامل "[1].

وبلمحة تحليلية سريعة نجد أن الإمام النورسي كغيره من المصلحين والمجددين كأمثال: " رفاعة الطهطاوي، وجمال الدين الأفغاني، وابن باديس، ومحمد عبده، ومحمد بن عبد الوهاب في السعودية، وغيرهم الذين أخذوا على عاتقهم الإصلاح والتجديد وتربية النفوس والدفاع عن مبادئ الإسلام وتعاليمه، وبسط صور الحرية وأشكالها للأفراد.

فهؤلاء الأئمة العظام كانوا نقطة الانطلاق لتطور الفكر ونشر الحرية والمعرفة وكسر قيود الاستبداد، وكان لهم تأثيرهم الواسع في واقع الحياة.

ولكن هذا التأثير كان قاصراً على الفترة الزمنية التي عاشوا فيها وكانت أقدامهم تدب على بقعة الأرض التي تدور فيها رحى الإصلاح، وفي اللحظة التي قبضت فيها أرواحهم قبض هذا التأثير، وأصبحت أفكارهم يتيمة لا تجد وصياً يتولاها ويرعاها، وأصبحت جميعها مرجعها كتب التاريخ.

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٢٤٣.

ولعل مرجع ذلك هو انشغال المصلح بترصده لحصاد نتاج مساعيه على أرض الواقع ولم يعمل على ترسيخ أفكاره في نفوس تلاميذه، ولم يقم بأعداد جيل يحمل المسئولية من بعده ويكمل المسيرة، فكان نتاج ذلك اندثار آراؤه وأعماله بين العامة، لأنها لم تجد من يقوم بنشرها واقعاً عملياً بين فئات المجتمع، اللهم إلا نشرها ورقياً بين الصفوة من رجال الفكر وبعض الباحثين ممن دفعتهم أبحاثهم لذلك.

بل أحياناً نرى من تلاميذ بعض المصلحين أنه لم يسر على ضرب أستاذه وهو على قيد الحياة كما حدث مع " محمد عبده.... والأفغاني "[١]

ولعل السبب البارز هو كثرة تنقل " الأفغاني " وعدم استقراره ورعايته لما يبذر من أفكار في نفوس تلاميذه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إختلاف وجهات النظر في الطريقة الإصلاحية تبعاً لاختلاف الرؤى لواقع الحال.

ومن التلاميذ من انقسموا بعد وفاة أستاذهم إلى تيارين، رافضين الإتحاد والتماسك، وذلك كما حدث مع تلاميذ الإمام " محمد عبده "، حيث " سار اتجاه نحو التجديد في إطار العقل ٠

وثانيهما: ألتوي بفكره نحو السلفية المحافظة بل نحو الدولة الدينية "[٢].

ولم يستمر ذلك طويلاً بل اندثر الاتجاهان ولم يسمع لهم صوت، اللهم إلا في بعض الندوات أو في إطار أطروحات بعض البحوث، مع أننا في أشد الاحتياج لإزالة السحابة الضبابية عن أعمال مفكرينا العظماء للاستفادة منهم، وخاصة لجيل القرن الواحد والعشرين، لكي يطلعوا على أعمال رواد الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي.

ولهذا لا نجد أثراً ملموساً وفاعلاً من بين جميع الحركات الإصلاحية حالياً إلا حركة " محمد بن عبد الوهاب في السعودية، والتي صارت مذهباً تدين به الدولة السعودية، وإن

---

(١) السيد يوسف: الإمام محمد عبده رائدا الاجتهاد في العصر الحديث، ص١٣، سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٧.

(٢) السيد يوسف: الإمام محمد عبده رائدا الاجتهاد في العصر الحديث، ص١٣، سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٧.

كان لا يتعدى نطاق حدودها .

ثم الحركة الإصلاحية النورسية، والتي تعدت نطاق الحدود والجنس بفضل طلابها المخلصين الذين ينتشرون في جميع أنحاء العالم .

ولعل هذا ما يميز النورسي عن غيره من المصلحين، إذ أنه استطاع أن يخلد فكره وينقش ويحفر أسمه ليسترسل في ذاكرة التاريخ واقعاً حياً،وأستطاع أن يصنع الرسائل من خلايا جسده متجاوزاً بها النطاق الشخصي، وألبسها لباس الظواهر والتجارب من أفكار وعقائد وحولها من نطاق الحلم إلى إطار الواقع المعيش كظاهرة حركية فعالة وبناءة وثورة فوارة لا تهدأ ولا تنقطع سواء في حياته أو بعد موته، وذلك لكي تعمل على تغيير الأوضاع الرميمية واجتثاث الجذور الموات، وتعمير الكليات وعلاج الشقوق الواسعة،كل هذا يحدث من خلال كلمة السر التي منحها لطلابه النجباء الذين صانوا العهد والتزموا الطريق وساروا على هدي السماء.

" لقد أثبت النورسي أنه يمتلك طاقة إبداعية وقدرات عبقرية" حين أيقن وبوعي مستقبلي أن المهمة الإنبعاثية لن تكون سهلة ولن يكون في مقدور الأفراد والفرق المشتتة النهوض بها لذا تواصلت دعوته للطلاب والأتباع إلى الاتحاد والتماهي في هوية معنوية تضمن لهم القوة ووحدة المشرب والتطلع، وتعضد من تماسكهم، وتجعل منهم لحمة ذات تأثير، معتصمين بقول الله تعالى { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ }[1] وقوله { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }[2]

من هذا المنظور توخى النورسي لرسائل النور ولطلاب هذه الرسائل أن ينخرطوا في وحدة معنوية يكون لها تأثيرها النافذ فى تمهيد الطريق نحو غد الإسلام المشرق، وفي التصدي لأمراض العصر بمختلف أنواعها الروحية والنفسية والفكرية بتعاليم ومقررات القرآن الكريم" [3] "ومحذراً في الوقت نفسه من الغفلة، وأن الذي يترك العمل بالقرآن

(١) سورة آل عمران: آية رقم (١٠٣)

(٢) سورة الحجرات: آية رقم (١٠)

(٣) د/ عشراتي سليمان: النورسى فى رحاب القران، ص٢٨.

يعاقب بلطمات الرأفة وصفعات الرحمة [١].

لقد آمن النورسي أن تثمير القرآن وتجييش الجند الذي يؤمن بالقرآن هو أفضل سبيل للمحاماة على الأمة والتسوير من حولها ضد الفتن والمؤامرات التي تحاك ضدها علناً.

ويسلح النورسي طلابه بالإيمان، ونراه يستدعي سيرة الرسول، ليبين أن الرسول وصحابته تسلحوا بالإيمان، فمكنهم تسلحهم هذا أن يخوضوا أشرس المعارك وأن يكسبوها.

لقد أناط النورسي سنة التجديد، بعد أن أقرها منهاجاً لحياة المسلم، لا تقف بها مرحلة ولا تعيقها ضائقة عن المضي قدماً، ما ظلت مستنيرة بمشكاة الله، أناطها بطلاب النور إذ رأى العقل المتكامل، الذي من شأنه أن يجدد في الفكر وفي السيرة، التي على الأمة أن تسيرها إزاء مستجدات الحياة، ذلك لأن قابلية الاستقطاب كانت تتوفر لتلك الزمر القرآنية وطلاب النور كانوا واجهة مثالية للاستقطاب، إذ أن التجرد والركون إلى القرآن هما خير فاحص تمحيصي، يمد الجماعة النورانية بالأطهار والأطياب " [٢]

ولهذا نرى النورسي في كثير من الأحيان يقدم طلاب النور كنموذج صالح أكتمل بنيانه ويقدمهم كقدوة، ويعرضهم كبضاعة ألماسية فاخرة ونادرة يجب الإقتداء بهم، فكان يقول: "عليكم أن تكونوا أخوة متحابين كطلاب النور " [٣]

وكان يشبههم بمولدات الكهرباء " إنكم يا أخوتي بمثابة مولدات الكهرباء التي تمد الضوء " [٤].

لقد قدر النورسي أن الجماعة القرآنية العقلانية، هي التجسيد الفعلي للإصلاح المطرد، من هنا كان طلاب النور هم مجددوا العصر كما قدر النورسي..،

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٦٦.

(٢) د/ عشراتي سليمان: النورسى فى رحاب القران، ص٣٥-٣٦.بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: الموازنات، ص٦٦.

(٤) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٤٨.

ولا بد أن نعي البعد التنظيمي الانضباطي الذي ينم عنه هذا الإقرار، ذلك لأن النورسي تحلى بهذه الخصلة العالية، التي جعلته يتشبث بالتنظيم وبالنظام، وينزع إليهما، وينفر من الفوضى والتشتت "[1].

وهذا يدعونا للبحث عن الأساليب والأدوات التي استخدمها النورسي لبناء هذا النموذج الرائع والمتفاني من طلاب النور...؟

إن أول الأساليب والأدوات التي استخدمها النورسي كانت من نفسه وذاته كقدوة يجب التحلي بها، حيث تخلق بأخلاق القرآن.

ورغم هذا " ظل يذب عن نفسه الأحوال والصفات التعظيمية التي كان الإتباع يخلعونها عليه تبجيلاً ومحبة.

بل لقد أنتهي به الأمر إلى الإقرار بأن ما كان يتراءى للناس من نبوغ فكري وروحي يميز دراساته وتعاليمه إن هو إلا نبوغ القرآن العظيم ذاته، وأنه مجرد دلال القرآن "[2]

ومن السمات المبتكرة عنده أنه جعل تمركز الحركة الناشئة حول رسائل النور لا حول مؤلفها، بل وكان يعتبر نفسه واحداً من طلاب الرسائل مثله مثل الآخرين.

وبهذا غرس فيهم " تجريد الذات " من " الأنا " والعمل على غرس أخلاق القرآن، وإنه لمن البراعة أن يجعلهم يلتفوا حول حديقة الرسائل، وأوكلهم رعايتها واستمرارية نضرتها.

ويضاف إلى ما سبق من الأساليب والأدوات التربوية، وهو ما نستطيع أن نطلق عليه فى المحصلة " صنعهم على عينه ".

" لقد غرس فيهم البعد الإيماني بجميع زواياه، وجرد عقلهم من كل فكر أو معلومات غير حيوية، وغير عملية وغير حقيقية، وجعل نفسه نموذجاً لذلك التجريد، وأفسح المجال لمقابلاتها الإيمانية.

---

(١) د/ عشراتي سليمان: النورسى فى رحاب القران، ص٣٦.

(٢) د/ عشراتي سليمان: النورسى فى رحاب القران، ص٧٨، ٧٩ بتصرف.

ولقد كان من أبرز ما أصله: هو التهوين من قيمة الشر المتفشي في عصره بأعتباره شيئاً عدمياً وسلبياً وغير أصيل لتنفير الناس منه وتجرئهم عليه، وإضاءته لإرادة الإنسان الحرة وقد عمق في طلابه مفردات أخلاقية عديدة " كالصدق والأمل والصبر والشجاعة والتضحية " ورسم خطوطاً لوصول الإنسان إلى رضا ربه، كخط الشكر والتذلل والتوكل والحب والإخلاص، وحل الإشكالية بين ميل الإنسان إلى الانتماء لذاته أو للمجتمع، وأقام طلابه على معادلة مريحة متوازنة بينهما.

وأدرك النورسي من خلال تربيته لطلابه، أن العواطف لا تغتال ولا تقتل ولا تصادر، بل تحدد لها الضفاف، وتوجه للبناء، وتؤطر بإطار من الحق والخير والعدل "[1].

ومن الأساليب والأدوات التي استخدمها النورسي لتجييش حركة فعالة ومستمرة، هو تجنيده لجميع فئات الشعب دون الاقتصار على فئة دون أخرى، حيث ضمت مدرسته النورانية الشباب والشيوخ والأطفال والفتيات والنساء والعجائز، ومن جميع الطبقات.

بل وشملت حتى المسجونين، الذين أصبحوا فيما بعد دعاة لرسائل النور، وناقلين لها من بلد إلى بلد.

بهذه اللمحة السريعة، لسرد بعض الأساليب والأدوات، استطاع النورسي أن يشيد حركة رسائل النور.

أو كما يمكن أن نطلق عليها كلمة أفضل، فندعوها بـ " الأخوة " مرتبطة بالرسائل ذاتها بوشائج لا يمكن أن تنفصم عراها " [2].

ولهذا نراه يحمد الله على تمام هذه النعمة فيقول: " حمداً لله بما لا يتناهى من الحمد والشكر، إذ حقق بكم أملي...

وحيث أنني أرى إخوتي الذين يلازمونني في الخدمة دائماً، ولا يغادرون بالي أبداً

---

(١) محمد رشدي عبيد: ملامح تربوية في رسائل النور، ص ٨٦، ٨٧، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٢م. بتصرف

(٢) شكران واحدة: الإسلام على مفترق الطرق، ص٤٦، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥. بتصرف.

يسعون للعمل لرسائل النور، ويتبنونها بجدية تامة، ويحافظون عليها، ويتوارثونها مثلكم ناشدين الحقيقة، مقدرين كل شيء حق قدره.. أراهم في موضعي وهم أكثر إخلاصاً مني وأصلب عوداً، وأنشط في خدمة القرآن والإيمان..

لذا أنتظر أجلي وقبري وموتي بفرح تام وسرور خالص واطمئنان قلبي كامل.

إنني يا إخوتي أراكم عدة مرات في اليوم.. وأنتم كذلك يمكنكم أن تحاوروا وتجالسوا أخاكم هذا الضعيف، في الرسائل، حيث الزمان والمكان لا يحولان دون محاورات أهل الحقيقة ومحادثاتهم، حتى لو كان أحدهم في الشرق والآخر في الغرب، وآخر في الدنيا وآخر في البرزخ، لأن الرابطة القرآنية والإيمانية ـ التي هي بمثابة راديو معنوي ـ تجعلهم يتحاورون فيما بينهم...

إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على بأخوة أقوياء جادين مخلصين، غيورين مضحين، لهم أقلام كالسيوف الألماسية، ودفعهم ليعاونوا شخصاً مثلي لا يجيد الكتابة، نصف أمي، في ديار الغربة مهجور، ممنوع من الاختلاط بالناس، وحمل سبحانه كواهلهم القوية ما أثقل ظهري الضعيف العاجز من ثقل الخدمة القرآنية، فخفف بفضله وكرمه سبحانه حملي الثقيل... فتلك الجماعة المباركة، يتشابهون في الشوق إلى العمل والسعي لنشر الحقائق القرآنية وخدمتهم، هذه كرامة قرآنية واضحة، وعناية إلهية ظاهرة ليس إلا "[1]

لقد أنجز أولئك الأبرار، كل هذا الذي أنجزوه في بضع سنين، ودمدموا الرؤوس الفاسدة التي جاءت محملة بأكوام من سبخ الإلحاد، وواجهوا ظلمه وصولجانه، وشادوا بقرآن الله وكلماته عالماً جديداً يهتز نضرة، ويتألق عظمة، ويتفوق اقتدارا.... تلك هي معجزتهم الحقة. وإن كانت معجزتهم تتمثل في الاستمرارية بقوة وحماس وفدائية، حتى بعد وفات مرشدهم وأستاذهم، بل وبأكثر مما كان يتوقع ويتمني أستاذهم النورسي، وكأنهم يخاطبونه وهو في قبره.. نم قرير العين، وأسعد في قبرك، فلن يصل إليك منا إلا نسمات رياحين غرستها أيادينا وتنفيذاً لوصاياك لنا بنشر حقائق القرآن، من خلال إقامة المؤتمرات، وطبع الكتب، وفتح المكتبات، وإلقاء الندوات والمحاضرات في جميع المحافل

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٤٧.

العلم " وفتح مدارس نورية صغيرة في كل مكان "[١].

ولعل الإمام النورسي أفسح لهم (أي طلاب النور) الطريق برسائله التي تنبض بروح الأمل والمستقبل، وخاطب جيل عصره وكل عصر، الذي لا يرى المستقبل، لأن عيونه في قفاه ويطلب منهم إن لم يستجيبوا له، فلا أقل من أن يتواروا، أو يتركوا الطريق فسيحة لأولئك (أي طلاب النور) القادمين، الآتين ببيارق الإسلام الخفاقة، إنهم جيل المعجزة الإسلامية التي لا تنقضي عجائبها ٠

وها أنذا أنقل إليكم صوت النورسي وهو يخاطب موتى هذا الجيل وينهرهم قائلاً:

" أيها الموتى.. أيتها القبور التي تمشي على رجلين.. أيتها الأجداث المتحركة فوق أديم الأرض.. أنتم أيها المنخورون المهزوزون المنهزمون.. ابتعدوا.. تنحوا عن طريق الأجيال القادمة.. أفسحوا الطريق للأحياء، الممتلئين حياة بروح الإسلام.. وامضوا أنتم إلى قبوركم التي تنتظركم.. تواروا واتركوا المكان لجيل البطولة والأبطال القادمين (أنه جيل طلاب النور المخلصين، فهم جيل البطولة والأبطال) فلو سكن طنين العوض وهدأ دوي النحل وصمتت كل الأصوات فلا تأسوا ولا تحزنوا ولا تخمد أشواقكم أو تضعف همتكم أبداً.. بل تستمر قوية عالية هادرة، تعلن عن مبدع الوجود، الذي ينتهي إليه كل موجود.

أجل، إنها لن تسكن ولن تهدأ.. وتظل تهتف بكم ومعها صوت أستاذكم النورسي آتياً من وراء الغيب: أنهض من جديد أيها المسلم العجوز.. شق أكفان عجزك، وأنفض عنك تراب قبرك، أنبعث فتياً ممتلئاً حياة وقوة وعزماً أيها الشيخ الفاني.. عد أيها الغريب المتواري وراء الزمان فقد طال شوق الدنيا إليك.. تواري يا شتاء الروح .. وتفتح يا ربيع العقل وازدهري بأزهار الإيمان أيتها النفوس المجدبة.. تهللي يا غربة الإسلام، وابتهجوا وابشروا يا خدام القرآن.. يا غرباء هذا العصر.. فرسولكم ﷺ قد قال فيكم: " بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء "[٢].

---

(١) بديع الزمان النورسي: الموازنات، ص٧٠.

(٢) أديب إبراهيم الدباغ: بديع الزمان وسيرته الذاتية، مؤتمر النورسي حول تجديد الفكر، ص٣٧، ٣٨. بتصرف

ومن أهم ما يميز طالب النور: " أنه لا يصرف وقته سدى ولو كان جزءاً يسيراً جداً وإنما يحيه بدراسة الرسائل، والوصول إلى تذوق المعرفة الإيمانية للآيات والأحاديث فينور قلبه وعقله وروحه معاً، ويرى في نفسه شوقاً دائماً إلى العمل، ولا يرى في نفسه تكاسلاً في تطبيق السنن والأدعية، ولا تقاعساً عن دعوة الناس بعد أن امتلأ قلبه بنور المحبة "[1].

{ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }[2].

(١) إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص١٨٤.

(٢) سورة الزمر: آية رقم (١٨).

الأسباب التي دفعت النورسي لتسمية رسائله برسائل النور

لقد اختار أسم رسائل النور اسما لمباحثه،" لأنه كان يدرك أهمية النور في حياة البشر وكان يعرف أن النور الخارجي إذا كان لازماً لحركة البشر، فإن النور الداخلي لازم لحركة الضمير الإنساني والفؤاد، وبغير هذا النور الداخلي لا يهتدي الإنسان لدوره على الأرض، ولا يعرف له رباً في السماء "[1]

ويعلل النورسي عن سبب تسمية الرسائل " برسائل النور " فيقول:

إن قريتي اسمها: نورس.

وأسم والدتي المرحومة: نورية.

وأستاذي في الطريقة القادرية: نور.

وأستاذي في الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد.

وأكثر من يلازمني من طلابي يسمون باسم: نور.

وأكثر ما يوضح كنيتي وينورها هو التمثيلات النورية.

وأول آية إلتمحت لعقلي وقلبي وشغلت فكري هي:

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ }[2]

وأكثر ما حل مشكلاتي في الحقائق الإلهية هو اسم " النور " من أسماء الله الحسنى.

ولشدة شوقي نحو القرآن وانحصار خدمتي فيه، فإن إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين ﷺ "[3]

---

(١) أحمد بهجت: سعيد النورسي الرجل والدور، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، ص٤١، مؤتمر استانبول، سوزلر،القاهرة، ١٩٩٢م.بتصرف.

(٢) سورة النور آية ٣٥.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٣٦.

المبحث الثالث

حياته و عصره

أولاً: المرحلة الأولى " سعيد القديم " (١٨٧٣م-١٩٢٦م).

- خلفية تاريخية.
- النورسي يواجه أعداء القرآن.
- النورسي في سلانيك.
- إعلان المشروطية وموقف النورسي منها.
- لقاء مع مفتي الديار المصرية.
- تأسيس جمعية الإتحاد المحمدي.
- حادثة ٣١ مارت ونهاية عهد السلطان عبد الحميد.
- محاكمة النورسي فداءاً لحقائق الإسلام.
- النورسي في وان(١٩١٠م).
- زيارته إلى الشام (١٣٢٧هـ-١٩١١م).
- تجديد السعي لإنشاء "جامعة الزهراء".
- النورسي قائداً ومفتياً.
- النورسي مجاهداً في الحرب العالمية الأولى.
- النورسي في الأسر (١٩١٥م) وتباشير مرحلة " سعيد الجديد ".
- النورسي عضواً في دار الحكمة الإسلامية.
- كشفه لمؤامرات الاستعمار ومحاربته أطماعهم.
- عضويته في جمعية الهلال الأخضر.
- ظهور أتاتورك علي ساحة الأحداث وموقف النورسي منه.
- هدم الخلافة الإسلامية وإعلان الجمهورية العلمانية.
- إجراءات التغير والتحويل وموقف النورسي منها.

ثانياً: مرحلة النفي والسجن والعزلة " سعيد الجديد ": (١٩٢٦م- ١٩٤٩م).

- سياسة الالتفاف الحكيمة (الدفاع الإستراتيجي).
- بارلا " المدرسة النورية " ومصدر الإشعاع الإسلامي (١٩٢٦م).
- النورسي في سجن أسكي شهر " المدرسة اليوسفية الأولى " (١٩٣٥م).
- إرشاده للناس وحثهم على العمل.
- حمى التفتيش وطريقة رمضان.
- نفي النورسي إلى قسطموني (١٩٣٦م-١٩٤٣م).
- سجن دينزلي " المدرسة اليوسفية الثانية ".
- نفي النورسي إلى " أميرداغ " (١٩٤٤م).
- النورسي في سجن أفيون " المدرسة اليوسفية الثالثة " (١٩٤٨م)
- في كل محنة منحه.

ثالثاً:- المرحلة الثالثة " سعيد الثالث ".

- النورسي في ظل الحزب الديمقراطي.
- أثر تغيير حكومة أنقرة في حياة النورسي.
- أيامه الأخيرة ولحظات الوداع.

المرحلة الأولى " سعيد القديم " (١٨٧٣-١٩٢٦م).

" أطلق سعيد النورسي- رحمه الله – على نفسه " سعيد القديم " في المرحلة الأولى من حياته، والتي بدأت من مولده وانتهت بإقامته في مدينة " بارلا " عام (١٩٢٦م) وكانت فترة التكوين والإعداد والمواجهات "[١].

وهذه المرحلة تشمل الحديث عما يلي:-

خلفية تاريخية:-

لا يمكن الحديث عن مرحلة سعيد القديم، دون التقديم عن لمحة للأحداث التاريخية في تركيا والوعي بالأحداث الدائرة في البلاد.

حيث أن أيام سعيد القديم وقبلها، شهدت خفوت شمس الخلافة الإسلامية، واقتسام ما يسمى بتركة الرجل المريض، بين الدولة الصليبية الحديثة، وقيام الجمهورية العلمانية على أنقاض الدولة العثمانية الكبرى، مما ترتب عليه تجزئة العالم الإسلامي جغرافياً وشرذمته سياسياً وفكرياً، وصار بموجبة المسلمون أيتاماً على موائد اللئام، يفعل بهم الأعداء الأفاعيل "[٢].

ومما لاشك فيه إن الأوضاع التي عاصرها سعيد النورسي سياسياً واجتماعياً وثقافياً كان لها تأثيرها على حياته، وكانت المحرك له للنهوض في الناس بدعوته، الإصلاحية والتجديدية وكسر قيود الاستبداد وانتعاش الحرية وترسيخ أسس وأركان المعرفة.

" ولقد عاصر سعيد النورسي- رحمه الله- في حياته التي ربت على الثمانين سنة (١٨٧٣-١٩٦٠م) مرحلتين متغايرتين كل التغاير في المبادئ والأهداف ٠

تتمثل المرحلة الأولى: في الخلافة الإسلامية العثمانية ٠

وتتمثل المرحلة الثانية: في الجمهورية التركية العلمانية:

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان عصره ودعوته، ص٥٨-٤٠، سوزلر، القاهرة،١٩٩٦،.

(٢) د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان عصره ودعوته، ص٤.

ومعاصرته للمرحلة الأولى يرجع إلى أنه ولد في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦م) وأشتد ساعده في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) الذي ورث تركه مثقلة بالهموم والأعباء الجسيمة نظراً لتردى الأوضاع الداخلية والخارجية في الدولة "[١].

ويتحدث السلطان عبد الحميد عن ظروف الدولة عند توليته الحكم فيقول في مذكراته:

" كيف كانت الظروف وقت توليتي العرش ؟ أحاول أن أتذكر..نعم ٠٠. تمرد البوسنة والهرسك، حيث هزموا الجيش وحاصروه في الجبل الأسود.

والصرب تعلن الحرب بقوات منظمة وخطره، ثم انفجرت الحرب الروسية الفظيعة، وكل هذه الوقائع الداخلية والخارجية بالطبع لم يكن نتاج عهد سلطنتي، حيث توليت السلطنة بعد خلع سلطانين متعاقبين هما: عمى السلطان عبد العزيز، وأخي السلطان مراد الخامس الذي ولى العرش لمدة ثلاثة أشهر، هذا بالإضافة إلى الأزمة الوزارية التي استمرت (٩٣) يوماً وفراغ في السلطنة.

هذه الأوضاع المنهارة شجعت روسيا وغيرها على التحرك لتنفيذ خطة القضاء على الرجل المريض وتقسيم تركته الشاسعة، إلا أن الدول الأخرى كي تمنع روسيا قامت بعقد مؤتمرين هما " أياستفانوس " و " برلين " وعلى أثر هاتين المعاهدتين جاءت نهاية الدولة العثمانية في أوربا حيث أن المؤتمرون في معاهدة " أياستفانوس" كانوا قد تنازلوا لروسيا القيصرية عن كل ما طلبته وبدون الموافقة أو الرجوع لأخذ رأي العثمانيين أنفسهم.

وكان المؤتمر صفعة قوية " لمدحت باشا " وعملاء الإنجليز الآخرين ممن كانوا يحسنون الظن بأسيادهم الأوربيين، وكانت الروح الصليبية المعادية للإسلام تهيمن على المؤتمرين وعلى طبيعة القرارات التي اتخذوها.

ثم يتحدث السلطان في مذكراته بقوله:-

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان عصره ودعوته، ص٩. بتصرف.

عندما توليت العرش لم أكن أعلم بهذه الحقائق (أي ببعض الفتن الداخلية فيما يتعلق بعمه السلطان عبد العزيز والجيش) وإنما ابتدأت بمعرفتها واحدة بعد واحدة بالتجربة وأثناء الحرب الروسية، كما ظهر أمر آخر أيضاً هو:-

أننا نقف بمفردنا في العالم، لنا أعداء وليس لنا أصدقاء، يمكن للصليب أن يتحد في كل وقت، لكن الهلال دائماً بمفرده "[1].

وهذا يبين لنا كيف أن السلطان عبد الحميد كان يدرك أن الحرب بينه وبين الغرب والشرق هي حرب صليبية بكل معنى الكلمة، وأن الدول الصليبية كانت تتآمر لضرب الدولة العثمانية باعتبارها دولة الإسلام.

تلك كانت لمحة عن الأوضاع الخارجية للدولة العثمانية على الصعيد السياسي إبان حكم السلطان " عبد الحميد الثاني ": التآمر – التربص – ابتلاع أجزاء منها، وفي المقابل بذل السلطان

كل ما في وسعه للحيلولة دون وصول الصليبين إلى كل أغراضهم ٠

أما في الداخل فقد نخر السوس المتمثل في المحافل الماسونية والعملاء واليهود ونصارى الولايات العثمانية في عظام الدولة حتى أنهك قواها، ووصلت إلى ما وصلت إليه في نهاية المطاف، وكان لرجال تركيا الفتاة أو الاتحاد والترقي السهم والنصيب الكبير في هذه المأساة، فهي مثلت المعبر الذي عبر عليه الغرب إلى الداخل لتنفيذ مخططاتهم ٠

وقد نجحت الجمعية التي نشأت في أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني في تنفيذ ذلك بوسائلها المختلفة في إلهاب عواطف الجماهير واستغلال الظروف لصالحها حتى أمكنها ضم الجيش الثالث كله إلى صفوفها في ليلة (٢٣ يوليو ١٩٠٨) ومن ثم أرسلت إلى السلطان عبد الحميد تطالبه بإعلان الدستور في ظرف (٢٤ ساعة) وإلا تحرك الجيشان الثاني والثالث لإحتلال العاصمة ٠٠ وصدر الدستور في الموعد المحدد وتمت الانتخابات.

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان النورسي عصره ودعوته، ص٩-١١، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٦م.بتصرف

وفي ديسمبر من نفس العام أفتتح البرلمان، وبهذا وصلت جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم وشرعت في تنفيذ مبادئها وبرامجها الهدامة.

وعن عمالة جمعية الاتحاد والترقي (تركيا الفتاه) يقول السلطان عبد الحميد الثاني:- لابد للتاريخ يوماً أن يفصح عن ماهية الذين سموا أنفسهم " الأتراك الشبان " أو " تركيا الفتاه " وعن ماسونيتهم، ولابد للتاريخ أن يفصح عن هذه المعونات، وهل كانت معونات إنسانية أم سياسية ؟

وقد أفصح التاريخ عما قاله السلطان عبد الحميد، فكانوا جميعاً من الماسون، وكانوا صنيعة القوى الأجنبية لتحقيق مآربها في الداخل، كما أفصح التاريخ بأن المعونات التي تلقوها كانت معونات سياسية في لحمتها وسدادها ".[1]

هذا كان عن الأحوال السياسية في عصر النورسي.

- أما عن الأحوال الخلقية والاجتماعية: فلقد كان للنظريات والأفكار الغربية الوافدة على الدولة العثمانية في أخريات أيامها آثارها السيئة على حياة المجتمع التركي الذي ظل متمسكاً طوال قرون ممتدة في التاريخ بقيمه الحضارية الإسلامية ٠

ولم يكن انتشار العادات الغربية في الحياة التركية دفعة واحدة، بل كان على مراحل، بدأت بتغيير الأفكار والآراء عن الغربيين ونمط حياتهم، ثم الدعوة إلى اقتباس ما عند الغربيين من مظاهر وأوضاع اجتماعية بحجة أنه نافع ومفيد، ثم كانت المرحلة الثالثة حين أعلنت المشروطية الثانية عام (١٩٠٨م) هذا بالإضافة إلى ازدياد الفوارق الطبقية في المجتمع التركي.

- أما عن الأحوال الفكرية والثقافية: فقد بدأت حركة التغريب بشكل ظاهر في الدولة العثمانية منذ عهد التنظيمات عام (١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م) وأخذت في النمو شيئاً فشيئاً حتى كانت أحد الأسباب لسقوطها، ثم وصلت إلى مداها في عهد الجمهورية الكمالية.

ولم تدخل الحركة التغريبية الحديثة الدولة العثمانية من فراغ، ولكن وجدت عوامل

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف:النورسي عصره ودعوته، ص١١-١٧، بتصرف.

كثيرة ساعدت على دخولها وانتشارها في الدولة منها:-

١- المثقفون إلى أوربا:- حيث أرسلت بعض طلبتها إلى أوروبا لنقل ما لدى الغرب من تقنيات حديثة، للاستفادة من معطيات العلم الجديدة، غير أن هؤلاء الطلبة لم يكونوا على إلمام كاف بالإسلام، وكانوا يعانون من خواء وفراغ إسلامي وفكري، مما هيأهم للوقوع في أسر الأفكار الغربية، فعادوا متشبعين بها ودعاة إليها وبدءوا يطرحون حلول المشاكل في المجتمع من واقع ما وجدوه في أوربا دون مراعاة للشريعة "[1].

٢- المؤسسة العلمية لوضع الخطط والمناهج (أنجمني دانش)

أنشئت هذه المؤسسة عام (١٨٥١م) بغرض إعداد الخطط والمناهج للمقررات الدراسية في دار الفتوى (جامعة إستانبول) للإسهام في تزويد الشعب بالمعلومات والمعارف وإزالة الجهل المتفشي في المجتمع، غير أنها ابتعدت عن هذه المهمة ووجهت غايتها إلى توثيق الصلة الفكرية بين الدولة العثمانية والدول الغربية، وجلب الأفكار الغربية المشتملة على كثير من المساوئ والانحرافات لتحل محل الأفكار الصحيحة المنبثقة من العقيدة الإسلامية.

٣- إنشاء كتب الترجمة:-

أنشئ هذا المكتب في الدولة العثمانية عام (١٢٤٧هـ - ١٨٣٢م) بهدف تخريج أجيال تستطيع الدولة الاعتماد عليهم في القيام بمهمة ترجمة ما في اللغات الأجنبية من ثقافات وتنظيمات تتعلق بالمباحثات الرسمية وعلاقات الدول بغيرها من الدول.

وبعد فترة وجيزة من إنشائه أي عام (١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م) تحول إلى مدرسة فكرية صارت ترمى إلى تنشئة الجيل على أساس فكري غربي إلى جانب تعليم اللغات الأجنبية وكان مما ترجم في هذه الفترة إلى اللغة العثمانية، الكتب التي تروج لمبادئ الثورة الفرنسية لبث روح التغيير في نفوس الشباب، وكان لها تأثيرها مع الأيام على الجيل الجديد.

٤- الغربيون المستقدمون للعمل في المدارس والكليات العسكرية:- استقدمت

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان النورسي عصره ودعوته، ص١٧-٤٢، بتصرف.

الدولة العثمانية أعداداً من الأساتذة الأوروبيين " فرنسيين ثم ألمان " وكان لهم تأثير كبير على الطلاب إذ كانوا يقومون بنشر الأفكار الغربية في تلك المؤسسات التي كانت تضم الصفوة المختارة من المثقفين العثمانيين، وكان من مقرراتها تدريس كافة كتب الفلاسفة الماديين الذين أعدوا للثورة الفرنسية.

٥- موظفوا السفارات العثمانية المبتعثون إلى أوروبا:-

فقد أرسل منذ عهد السلطان سليم الثالث (١٢٠٧- ١٢٢٢هـ/ ١٧٩٢- ١٨٠٧م) عدد من

موظفي الدولة للعمل في سفاراتها في الدول الغربية، وقد احتكوا بالغربيين مباشرة وأطلعوا عن قرب على المنجزات الصناعية، لذا نادوا بعد عودتهم إلى الاقتباس من الغرب وكان ذلك على نطاق ضيق في بداية الأمر، ثم بدأ يتسع مع مرور الأيام وأتسع النداء إلى مداه في عهد الجمهورية الكمالية "[1].

٦- الجمعيات الفرنسية في كل من فرنسا واستانبول:-

فقد تشكلت في فرنسا جمعية " أصدقاء الشرق " وكانت تضم في عضويتها رجال المال والأدباء والدبلوماسيين وكانت الأم الروحانية " لتركيا الفتاة " بأعتراف أحد أعضائها وقد أسهم الفرنسيون المقيمون في استانبول بنشر الأفكار الغربية والترويج لها من خلال تشكيلهم للنوادي والجمعيات التي أنشئوها داخل استانبول، وأهم هذه الجمعيات " الجمعية الجمهورية لأصدقاء الحرية والمساواة ".

٧- المؤسسات التعليمية الأجنبية في استانبول:-

فقد قامت هذه المؤسسات بتخريج كوادر إدارية ودبلوماسية واقتصادية تتخذ من المناهج والأساليب الغربية مصدراً لها فيما تتبناه من أفكار، واستطاع هؤلاء الذين تخرجوا من تلك المؤسسات أن يكونوا أصحاب نفوذ، وأزداد نفوذ هؤلاء في نهاية الدولة العثمانية، ثم صاروا أصحاب الكلمة المسموعة في عهد الجمهورية الكمالية.

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان النورسي عصره ودعوته، ص٤٢-٤٣. بتصرف.

تلك كانت أبرز العوامل التي فتحت الباب واسعاً أمام الأفكار في الدولة العثمانية والتي مهدت الطريق لضعفها ثم لزوالها في النهاية.

غير أنه من الأنصاف، الاعتراف بأنه في أخريات الدولة العثمانية شهدت صراعاً مريراً بين أصحاب الاتجاه التغريبي وكانوا كثرة، وأصحاب الاتجاه الإسلامي الأصيل أمثال: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عاكف، وسعيد حليم باشا، وخريوطى زاده ومصطفى أفندي، وأحمد حمدي ، وأحمد حلمي، وسعيد النورسي....، وغيرهم.

ولكن كانت الغلبة في النهاية لممثلي الاتجاه التغريبي الذي مكن له عسكرياً وإدارياً وثقافياً وأعلن بدون مواربة عداءه للإسلام ودعاته، خاصة بعد إلغاء الخلافة وقيام الجمهورية[1].

ولكن مع هذا فإننا نلحظ أمور منها:

- المستوى التعليمي الراقي في استانبول مركز الخلافة، والمستوى المتدني في أطراف البلاد التركية وخاصة قُراها، حيث نجد الإهمال وتفشي الجهل والخرافات.

- أن المناهج الدراسية في المدارس النظامية في استانبول كانت تعتمد جزئياً على المناهج الدينية وتصب أكثر اعتمادها على تدريس المناهج المروجة للثقافة الغربية.

- أما في أطراف القرى التركية فكانت الدراسة تعتمد على الزوايا الصوفية والكتاتيب التي تصب أكبر اعتمادها على تدريس كتب التراث الدينية دون مزجها بالعلوم الحديثة ومن خلال هذه الزوايا والكتاتيب ينال الطالب إجازته العلمية.

- أن المدارسُ في استانبول والتي تعتمد في مناهجها على الثقافة الغربية فرخت أجيالاً مسمومة بأفكار تغريبية نخرت في جسد الخلافة العثمانية حتى كانت أداة لإسقاطها.

هذا بالإضافة إلى عدم الإخلاص وتبييت سوء النية والحرص ممن يقومون بمهمة التدريس على عدم غرس روح الإسلام وتعاليمه، مما أفرز جيلاً خاوي من العقيدة الصحيحة فلم يبالي ممن تم تفريخهم أن يجهر بحربه على الإسلام.

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان النورسي عصره ودعوته- ص٤٤-٤٥. بتصرف.

أما الزوايا والكتاتيب فرغم إمكانياتهم الضعيفة القائمة على أموال الزكاة والصدقات، إلا أن القائمين عليها أخلصوا نواياهم لله رب العلمين، ولنفع البلاد بتخريج جيل يساهم في رفع راية الإسلام وخدمة الوطن وازدهاره، وليس انتكاسته، كما أنهم أثمروا وفرخوا رجالاً أوفياء.

وخير نتاج أثمرته أرض تركيا في خضام هذا الصراع الثقافي والفكري والسياسي هو سعيد النورسي الزائد الأمين عن أمته، والمدافع المكين عن الحقائق الإسلامية.

" لقد أثبت التاريخ أن الذين تربوا في مدارس الإيمان وأشربوا تعاليم السماء، هم الذين وحدهم الذين صلحت بهم الحياة، وأعتدل في أيديهم ميزان الحق والعدل، وانكشفت بسبب وجودهم ونقاء أخلاقهم: أساليب الوضاعة والخيانة والغدر "[١].

" أن هذه الأحداث التاريخية السابقة تكشف لنا عن العصر الذي عاش فيه النورسي، وعانى فيه الشعب المسلم في تركيا، مما دفع النورسي للخروج إلى الميدان مع أقرانه يدير رحا معركة الصراع ضد أصحاب الاتجاه التغريبي الكاره للإسلام، وكانت له صولاته وجولاته وكان له منهجه المتميز في مواجهة هؤلاء، وبسبب ذلك أبتلى بألوان شتى من الإبتلاءات، لكنه وقف كالجبل الأشم أمام أعاصير التيارات المعادية، ولم يمت حتى رأى ثمار جهوده وجهود معاصريه من الدعاة المسلمين "[٢]

ولكن ما هي أولى الخطوات التي قام بها سعيد القديم لصد الهجمات المعادية للإسلام والمسلمين....؟ هذا ما سنتحدث عنه فيما يلي:

---

(١) أ/ أحمد عبد الرحيم السايح: بحوث في فكر النورسي، ص٥٣، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.بتصرف.

(٢) د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته- ص٥٤. بتصرف.

النورسي يواجه أعداء القرآن:

في ظل الصراعات التاريخية السابقة، بدأ النورسي يندمج مع تلك الأحداث ويتفاعل معها، وظهر أثر هذا التفاعل واضحاً أثناء إقامته في " وان " حيث قرأ في الصحف المحلية خبراً مدهشاً هز كيانه هزاً عنيفاً ٠

فقد نشرت الصحف ما قاله وزير المستعمرات البريطاني " جلاد ستون " في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم: ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن زيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به.

فزلزل هذا الخبر كيانه، وصمم بينه وبين نفسه على " محاربة أعداء القرآن " وأن يكرس حياته لإظهار إعجاز القرآن، وربط المسلمين بكتاب الله، فقال:-

" لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها "[١]

لذلك فقد قرر الذهاب إلى استانبول عام (١٩٠٧م) لتقديم طلب للسلطان عبد الحميد لفتح " مدرسة الزهراء " لخدمة القرآن الكريم على غرار " الأزهر الشريف " ويدرس فيها العلوم الحديثة بجانب العلوم الدينية، لتنشئة شباب مثقف يجمع بين ثقافة الماضي والحاضر وتكون له القدرة على نشر الدعوة الإسلامية في كل مكان، وذلك في شرق الأناضول حيث يخيم الجهل والفقر[٢].

وبسبب انتقاده للاستبداد ونظام الأمن والاستخبارات لقصر " يلدز " تم رفض طلب النورسي، وثارت حاشية السلطان لهذه الانتقادات، فأحلوه إلى المحكمة العسكرية ٠

وفي هذه المحكمة تكلم بجرأة كبيرة، مما حدا برئيس المحكمة إلى إحالته إلى الأطباء

---

(١) إحسان قاسم: بديع الزمان النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص٢٥، سوزلر، القاهرة. بتصرف.

(٢) د/ سمير رجب: الفكر الأدبي الديني عند بديع الزمان النورسي، ص٤٠، سوزلر، القاهرة.

لفحص قواه العقلية "[١].

ويدور حديث بين النورسي وأحد الأطباء، حديثاً يأخذ بمجامع قلب الدكتور جعله يكتب في تقريره:-

" لو كانت هناك ذرة واحدة من الجنون عند بديع الزمان، فمعنى ذلك أنه لا يوجد على وجه الأرض كلها عاقل واحد "[٢].

النورسي في سلانيك:

" ذهب النورسي إلى" سلانيك " وتعرف هناك على كبار شخصيات الاتحاد والترقي ولكونه شخصاً يدعوا إلى الحرية وإلى مبدأ الشورى الإسلامي فقد لاقى ترحيباً من قبل قادة الاتحاد والترقي، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يجعلوه تابعاً لهم، إذ بقى مستقل الفكر والشخصية، وعندما شعر من بعضهم بعدم الاستقامة وللعداء للدين قال لهم:- لقد اعتديتم على الدين، وأدرتم ظهوركم للشريعة •

وقد أثارت هذه الأقوال في سلانيك مخاوف الماسونيين، فطلب اليهودي المشهور " عمانوئيل قره صو" – رئيس المحفل الماسوني- وعضو مجلس المبعوثان (النواب) العثماني مقابلته طمعاً في التأثير على بديع الزمان النورسي، وجلب هذه الشخصية المشهورة إلي صفه..

وتمت المقابلة، ولكن ما لبث أن خرج اليهودي من عنده وهو يقول: " لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني بحديثه في الإسلام " (وقره صو هذا هو أول صهيوني ماسوني

---

(١) إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص٢٧، ٢٨ وأنظر د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان النورسي عصره ودعوته، ص ٦١، ٦٢.بتصرف.

(٢) إحسان قاسم: بديع الزمان نظرة عامة، ص٢٨، وأنظر د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان النورسي عصره ودعوته ص٦٣،وانظر د/ سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند بديع الزمان النورسي، ص٤٣.

عمل على قلب الخلافة وخلع السلطان عبد الحميد)[١].

إعلان المشروطية وموقف النورسي منها:-

في عام (١٩٠٨م) استطاع أصحاب الاتحاد والترقي من خلال الضغط المستمر على السلطان " عبد الحميد " إلى إعلان المشروطية الثانية، بعد أن كان السلطان قد ألغى المشروطية الأولى عام (١٨٧٨م) وبإعلان المشروطية الثانية تم إعلان الدستور وانتخاب مجلس نواب تكون الحكومة مسئولة أمامه "[٢]

ولقد أهتم النورسي باتخاذ موقف من هذه القضية الشائكة، فهو يرى أن لكل مجتمع خصوصيته وما يصلح لدولة قد لا يصلح للأخرى فيقول: " إن اختلاف الأقوام واختلاف الأماكن والأقطار شبيهه بتباين الأزمنة والعصور، بمعنى أن الثورة الفرنسية لا تكن دستوراً لنا، فالخطأ ينجم من تطبيق النظريات وعدم التفكر بمتطلبات العصر "[٣].

" وهنا نلحظ مدى اتفاق النورسي مع ما ذهب إليه السلطان عبد الحميد بالقول بان لكل مجتمع خصوصيته واختلاف بعضها عن البعض الآخر.

كما نلحظ نشاط النورسي وهو يلقى الخطب ويكتب المقالات، مبيناً فيها مفهوم الحرية في الإسلام، وتأثير الإسلام في الحياة السياسية، ومطالباً بتحكيم الشريعة الغراء، ومحذراً من التفسير الخاطئ للحرية.

لهذا نراه يهاجم أصحاب الاتحاد والترقي لأنهم يشوهون صورة المشروطية بإظهارها مخالفة للشريعة، وأن الشريعة ظالمة.

وفي تلك اللحظة نما شعور عند النورسي بأن هناك محاولات خبيثة وأيد خفية تحاول أن تستفيد من هذه المشروطية لخدمة أغراض مناهضة للإسلام فكان يقول: " بنى وطني

---

(١) إحسان قاسم: بديع الزمان نظرة عامة، ص٣٠، وأنظر: د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان عصره ودعوته ص٦٤-٦٥،وانظر: د/ سمير رجب، الفكر الأدبي والديني عند بديع الزمان، ص٤٣،٤٤. بتصرف.

(٢) د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٦٥.

(٣) بديع الزمان النورسي: صقيل الإسلام، محكمة عسكرية، ص٤٤٤، سوزلر، القاهرة.

لا تسيئوا تفسير الحرية كي لا تذهب من أيديكم، لا تصبوا العبودية العفنة في قوالب براقة وتسقونا من علقمها، إن الحرية لا تتحقق ولا تنموا إلا بتطبيقِ الشريعة ومراعاة آدابها "[١]

ويؤكد النورسي على أن المشروطية الحقة " لا ينبغي لها أن تكون ضد الشريعة أو مخالفة لها، لأن أسسها ستكون فاسدة، ومن ثم فأن كانت المشروطية تعني مخالفة الشريعة فليشهد الجميع أني مرتحل "[٢].

ويرى النورسي أن السبب وراء تصور دعاة الحرية أن الشريعة مؤيده للاستبداد ومناهضة للمشروطية، هو إتباعهم التصور الأوربي عن الشريعة فيقول:

" إن أوربا تظن الشريعة هي التي تمد الإستبداد بالقوة وتعينه، حاشى وكلا، إن الجهل والتعصب المتفشيان فينا قد ساعدا أوربا لتحمل ظناً خاطئاً من أن الشريعة تعين على الاستبداد

ولذا تألمت من أعماقي على ظنهم السيئ بالشريعة ٠

كما أنني لكي أكذب ظنهم فقد رحبت بالمشروطية بأسم الشريعة قبل أي شخص، ولكن على أن تفهم المشروطية في ضوء الشريعة "[٣].

لقاءه مع مفتي الديار المصرية:

حضر إلى استانبول في هذه الأثناء مفتي الديار المصرية وهو الشيخ " بخيت المطيعي "[٤] وأراد علماء استانبول – الذين عجزوا عن إلزام النورسي بما أرادوا– أن يقوم

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف: بديع الزمان النورسي عصره ودعوته، ص٦٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: صقيل الإسلام، المحكمة العسكرية، ص٤٥٤.

(٣) بديع الزمان النورسي: صقيل الإسلام، ص٤٤١.

(٤)هو الشيخ بخيت محمد بن حسين المطيعي الحنفي، مفتي الديار المصرية ومن كبار فقهائها، ولد في بلدة (المطيعة) التابعة لمحافظة أسيوط من صعيد مصر، وتعلم في الأزهر وأشتغل بالتدريس فيه، وأنتقل إلى القضاء الشرعي سنة (١٢٩٧هـ) وأتصل بالسيد جمال الأفغاني، ثم عين مفتياً للديار المصرية عام (١٣٣٣هـ إلى ١٣٣٩هـ وله كتب قيمة " أنظر/ بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية ص٨٤، وأنظر/ إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص٣١.

بمناظرته.

وقد قبل الشيخ بخيت ذلك، وأنتهز فرصة وجوده في مقهى قرب جامع " أيا صوفيا " بعد الانتهاء من الصلاة، ليبدأ الحديث معه أمام جمع من العلماء، ويوجه إليه السؤال التالي:-

ما رأيك في الحرية الموجودة الآن في الدولة العثمانية ؟

وماذا تقول في مدنية أوروبا ؟...

فأجابه سعيد النورسي: إن الدولة العثمانية حبلى حالياً بجنين أوروبا وستلد يوماً ما ٠

أما أوروبا فهي أيضاً حبلى بجنين الإسلام وستلد يوماً ما.

وأمام هذا الجواب الموجز العميق، لم يمتلك الشيخ بخيت نفسه إلا القول: " إنني أوافق على كلامه، وإنني أحمل هذا الرأي نفسه، ولا يمكن المناظرة والمناقشة مع مثل هذا الشاب "[1]

" وهذا الكلام من الشيخ بخيت يكشف لنا كيف أن العلماء العاملين وفي مقدمتهم مفتي الديار المصرية كانوا على إلمام واسع بالواقع المعاصر محلياً وعالمياً ٠

كما كانوا مشغولين بقضايا الأمة رعاة ورعية، ولم تكن هناك مناطق من الكلام محرمة يجب الوقوف عنها وعدم الكلام، ولم يعرفوا الفصل بين ما يسمى السياسة والدين أو الدين والسياسة "[2]

تأسيس جمعية الاتحاد المحمدي:

" في (٥أبريل ١٩٠٩م) تشكلت جمعية " الاتحاد المحمدي " في استانبول وأعلن عن تشكيلها بعد اجتماع ديني حاشد في جامع " أيا صوفيا " حيث ألقى فيه بديع الزمان خطبة

---

(١) إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٣١، ٣٢، وأنظر٠ د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته ص٦٦ وأنظر٠ د/ سمير محمد رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص ٤٦، ٤٧. باختصار.

(٢) د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٦٦.بتصرف.

رائعة، ولم يكن من مؤسس الجمعية، وإنما كان من الداعين إليها والمناصرين لها " [١]

حادثة ٣١ مارت ونهاية عهد السلطان عبد الحميد:

" ثارت أحداث شغب في تركيا في (١٣ إبريل ١٩٠٩م) قام بها جنود الطابور العسكري في " طاش قشلة " احتجاجاً على تصرفات رجال جمعية الاتحاد والترقي المنافية للإسلام، فكانوا يهتفون: نريد الشريعة.. نريد الشريعة.

وانتهت هذه الحادثة بوصول جيش الحركة (وهو الجيش الذي وجهه الاتحاديون من مدينة سلانيك، حيث كانت مركز قوتهم بقيادة " محمود شوكت باشا " لقمع العصيان وإعادة سلطة الإتحاديين) إلى استانبول في (٢٣ نيسان) حيث تم السيطرة على الوضع وتم عزل السلطان " عبد الحميد الثاني " من كل سلطاته الدينية والدنيوية، ثم وجهت إليه التهمة بأنه السبب الرئيسي في إشعال هذه الأحداث كمحاولة انقلابية دبرها للإطاحة بالإتحاد والترقي، وعلى إثر ذلك تم نفيه إلى " سلانيك " معقل رجال الاتحاد والترقي والماسونيين ٠

وتولى " محمد رشاد الخامس " مقاليد الحكم في نفس العام، وبعد تلك الأحداث بأيام أعلنت الأحكام العرفية، وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسئولين عن هذه الحادثة، وكان سعيد النورسي من بين الذين قدموا إلى أعواد المشانق "[٢].

وفي صدد الأحداث السابقة نلحظ شيئاً يجب أن نشير إليه، وهو موقف النورسي من هذه الأحداث، ورأيه فيما نسب من إتهامات إلي السلطان عبد الحميد الثاني بأنه السبب الرئيسي والمحرك لهذه الأحداث، فنجد أن النورسي قد نفى عن السلطان عبد الحميد أن يكون سبباً في هذه الأحداث فيقول:-

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ٩٥، وانظر صيقل الإسلام، ص٤٤٧، وانظر ٠ د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص ٦٧،٦٦. إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٣٢..

(٢) بديع الزمان النورسي: صقيل الإسلام، ص٤٤٩،٤٤٨.وانظر٠/ إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٣٢-٣٤.وانظر٠ د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٦٧.

" إن السلطان عبد الحميد قد عزل بعد أحداث (٣١ مارت) وكانت حركة تمرد في الجيش تسبب في إندلاعها جماعة الاتحاد والترقي، واتهموا السلطان " عبد الحميد " بإثارتها كمبرر لعزله مع أن السلطان نفى هذا الاتهام وطلب تشكيل لجنة تقصي الحقائق، إلا أن الاتحاديين رفضوا هذا وعزلوا السلطان "[1].

محاكمة النورسي فداءاً لحقائق الإسلام:

كان سعيد النورسي من بين الذين قدموا إلى أعواد المشانق، علماً بأن دور النورسي في هذه الحادثة كان دوراً مهدئاً، إذ كان ينصح الجنود بالعودة إلى ثكناتهم واحترام أوامر ضباطهم وقد خطب في الجنود عدة خطب بهذا المعنى، ولكن الظاهر أن المحكمة كانت تتهمه لكتاباته ومقالاته العنيفة ضد الاتحاد والترقي.

وفي المحكمة بدأ الحاكم العسكري " خورشيد باشا " بمحاكمة بديع الزمان قائلاً له:-

وأنت أيضاً تدعوا إلى تطبيق الشريعة ؟

إن من يطالب بها يشنق هكذا: مشيراً بيده إلى المشنوقين.

فقام سعيد النورسي وألقى على سمع المحكمة كلاماً رائعاً نقتطف منه ما يأتي:

" لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداءاً لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام إنني متهيئ بشوق لقدومي للآخرة، وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا في المشانق إن كنتم تستطيعون فعاقبوني المعاقبة الوجدانية، لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد، والآن فإنها تعادي الحياة، وإذا كانت هذه الحكومة هكذا،،،

فليعيش الجنون... وليعش الموت.... وللظالمين فلتعش جهنم..."

وفي جلسة واحدة فقط، يصدر حكم ببراءة بديع الزمان سعيد النورسي من تلك المحكمة الرهيبة التي شنقت العشرات، وبعدها يغادر مدينة استانبول متوجها إلى "

---

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاع الرابع عشر، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم، ص٤٢٣، سوزلر، القاهرة.

وان"[١]

النورسي في " وان " (١٩١٠م):-

بعد براءة بديع الزمان سعيد النورسي من المحكمة العرفية، غادر مدينة استانبول متوجها إلى " وان " عن طريق ساحل البحر الأسود... حيث بدأ يلقى دروسه ومحاضراته متجولاً بين القبائل والعشائر يعلمهم أمور دينهم ويرشدهم إلى الحق، وهناك ألف كتابه " المناظرات " الذي طبع في استانبول سنة (١٩١٣م) "[٢]

زيارته إلى الشام (١٣٢٧هـ/ ١٩١١م):

في شتاء (١٩١١م) زار النورسي ديار الشام، حيث كانت أخته تعيش هناك، وألقى خطبته باللغة العربية في الجامع الأموي في دمشق، مخاطباً العلماء وجمعاً غفيراً من المصلين، وقد طبعت خطبته هذه تحت عنوان " الخطبة الشامية " حيث شخص فيها أمراض الأمة الإسلامية وعلاجاتها، ثم بين الدواء لكل مرض من الأمراض المذكورة مبتدءاً بـ" الأمل".

ومن دمشق ذهب إلى بيروت، ومنها سافر إلى استانبول عن طريق البحر للسعي مرة أخرى وراء تحقيق حلمه وغايته في إنشاء جامعة الزهراء "[٣]

تجديد السعي لإنشاء " جامعة الزهراء ":

بعد أن ذهب النورسي إلى دمشق أتجه إلى بيروت، ومنها سافر إلى استانبول للسعي مرة

---

(١) إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٣٤-٣٥.وانظر: د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٦٧-٦٨.وانظر: د/ سمير رجب:الفكر الأدبي والديني عند النورسي ص٤٤ - ٤٦.بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ١١١، ١١٣. وأنظر إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٣٥. وأنظر د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٦٨.بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١١٥، ١١٦ . وانظر إحسان قاسم: نظرة عامة، ص٣٦. د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٦٩. وأنظر، خديجة النبراوي، يقظة الأمة، ص ١٢

أخرى في أخذ الموافقة بإنشاء جامعة الزهراء، فقابل السلطان " محمد رشاد " وصاحبه في جولته التي قام بها إلى " روملي ".

ووافق السلطان على إنشاء الجامعة ومنح (١٩.٠٠٠) ليره ذهبيه (كما ذكر النورسي نفسه) لتأسيسها، وأرسيت قواعدها فعلاً، إلا أن الحرب العالمية الأولى حال دون إكمال المشروع وقد تجول النورسي بين العشائر الكردية في شرق الأناضول لحضهم على المساهمة في إنشائها [١].

سعيد النورسي قائداً ومفتياً:

في سنة (١٩١٢م) وقبيل نشوب حرب " البلقان " عين النورسي قائداً للقوات الفدائية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرق الأناضول، وقبيل إندلاع الحرب العالمية الأولى أصبح عضواً في تشكيلات خاصة، وهي مؤسسة سياسية وعسكرية وأمنية سرية شكلت بأمر السلطان، ووظيفتها المحافظة على وحدة أراضي الدولة ومحاربة أعدائها، وكان من بين أعضائها كبار الكتاب و رجال الفكر، وكان بديع الزمان من أنشطهم في هذه المؤسسة التي أصدرت فتوى الجهاد ضد الأعداء مع بداية الحرب العالمية الأولى وتم نشرها في جميع أنحاء الدولة بلغات مختلفة، وفي جميع الأماكن التي كانت مستعمرة بيد الأجانب " [٢].

النورسي مجاهداً في الحرب العالمية الأولى:

في عام (١٩١٤م) زجت حركة الاتحاد والترقي بتركيا في الحرب العالمية الأولى، وفي

---

(١) بديع الزمان النورسي: صقيل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، ص ٣٨٢، ٣٨٣، سوزلر، القاهرة. وانظر: سيرة ذاتية، ص١١٦، ١١٧. وانظر إحسان قاسم: المرجع السابق، ص٣٧،٣٦، د/ فرج محمد الوصيف: المرجع السابق ص٦٩، د/ محسن عبد الحميد، النورسي متكلم العصر الحديث، ص٢٠-٢١، سوزلر، القاهرة.

(٢) د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته ص٦٩، ٧٠. وانظر/ إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٣٧-٤٠. وأنظر٠ د/ سمير محمد رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص٤٩-٥٢ باختصار.

هذا العام دخل النورسي واعظاً في الجيش العثماني، ولكنه سرعان ما تم تشكيل فرق المتطوعين فبادر النورسي وتلاميذه للاشتراك فيها، وذلك من أجل مقاومة الجيش الروسي، وقد قاومت هذه الفرق الجيش الروسي مقاومة باسلة في مدينة " تبليس " ورغم هذه المقاومة إلا أن الجيش الروسي أستطاع أن يتفوق وتم احتلال المنطقة، وفي السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى قام النورسي وهو في الخندق بتأليف كتاب " إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز "[١].

النورسي في الأسر وتباشير " مرحلة سعيد الجديد ":

عندما دخل الجيش الروسي إلى مدينة " تبليس " كان النورسي وطلابه يدافعون عن المدينة ببسالة نادرة، وخلال المعركة جرح سعيد النورسي جرحاً بليغاً كان سبباً في أسره من قبل القوات الروسية في عام (١٩١٥م)

وقد حكم على النورسي بالإعدام لأنه لم يقم للقائد الروسي " نيقولافيج " وقبل تنفيذ حكم الإعدام بربع ساعة، عرف القائد الروسي أن النورسي لم يقم له بسبب تنفيذ ما تأمر به عقيدته فعفا عنه واعتذر له وقال له: " إنكم تستحقون كل تقدير وإعجاب لصلاحكم وتقواكم "[٢].

ويفصح النورسي أنه في تلك الفترة التي قضاها في الأسر (وهي ستين وأربعة أشهر وأربعة أيام) قد مر بصحوة روحية كانت تشكل تباشير مرحلة " سعيد الجديد " فيقول:

" كنت أسيراً أثناء الحرب العالمية الأولى بمدينة " قوصترما " في شرق روسيا وكان هناك مسجد صغير للتتار، وكنت أشعر بالضجر والضيق لوجودي مع بقية الأسرى،

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١٢٤، ١٢٣، وأنظر ٠ إحسان قاسم النورسي: نظرة عامة، ص٣٩، ٤٠ وأنظر. د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٧٠، أنظر. د/ سمير محمد رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص٥٠-٥٢. بتصرف واختصار.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١٢٨ - ١٣١ وانظر ٠ د/ سمير رجب: الفكر الأدبي، ص٥٣، ٥٤ إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة ص٤٠-٤٢، فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٧٠-٧٢.

فطلبت أن أكون وحيداً، فسمحوا لي بالإقامة في هذا المسجد وآثرت العزلة، إلا أنه لم يكن يسمح لي بالتجوال في الخارج، وكنت أنام في المسجد وحيداً، وكان الأرق يصيبني كثيراً في تلك الليالي الحالكة.

ورغم أنني لم أكن أعد نفسي شيخاً بعد، ولكن من يرى الحرب العالمية يشيخ ويشيب من هول أيامها الولدان، وكان سراً من أسرار الآية الكريمة " يوماً يجعل الولدان شيباً " قد سري فيها، إنني كنت قريباً من الأربعين، إلا أنني وجدت نفسي كأنني في الثمانين من عمري.

ويرى النورسي أن تلك الحالة التي كشفت عن عجزه وضعفه كانت وسيلة للتقرب إلى الله. وقد أستطاع النورسي الهروب من الأسر، إذ قامت الثورة البلشفية في روسيا، وحدثت اضطرابات واسعة هناك، الأمر الذي مكن النورسي وزملائه من الهروب، والعودة إلى استانبول مرة أخرى في عام (١٩١٨م) "[1].

النورسي عضواً في دار الحكمة الإسلامية:

وبعد عودته من الأسر إلى استانبول عام(١٩١٨م) عين عضواً في دار الحكمة الإسلامية تقديراً له دون علمه، وكانت دار الحكمة الإسلامية هي أكبر مجمع علمي في الدولة العثمانية في ذلك الوقت، وكانت عضوية الدار لا توجه إلا للأشخاص والعلماء البارزين، إذ كان من أعضائها الشاعر المعروف " محمد عاكف " والعالم " إسماعيل حقي " وشيخ الإسلام " مصطفي صبري " والمفسر المعروف " حمدي آلمالي " وغيرهم.

ونلحظ أن سعيد النورسي لم يشارك في اجتماعات دار الحكمة، والسبب يرجع في ذلك لما قاساه من عناء أيام الأسر وحاجته للراحة، مما دفعه أن أرسل طلباً يرجوا إعفاءه من

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ١٣١-١٣٣. وانظر. د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته ص٧٢. وانظر/ إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٤٢، ٤٤، وأيضاً. د/ سمير محمد رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص٥٥، ٥٦. بتصرف.

هذه العضوية "[١].

كشفه لمؤامرات الاستعمار ومحاربته أطماعهم:

عند ما تتوالى المصائب والهزائم على الدولة العثمانية نجد نذير الصحوة، ففي عام (١٩٢٠م) احتلت القوات الإنجليزية استانبول، وعقدت مع رجال الاتحاد معاهدة " سيفر" المشئومة وبدأ، القائد الإنجليزي ببذر بذور الخلاف بين المسلمين، حتى خدع شيخ الإسلام (مصطفى صبري) وبعض العلماء الآخرين، وجعل أحدهم يهاجم الآخر، وذلك لكي يهيئ الجو لانتصار اليونانيين واندحار الحركة الوطنية.

فأحس النورسي بهذه الطعنات الموجهة إلى الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية وكأنها موجه إلى قلبه هو، وقد قال:- لقد كنت أحس بأن هذه الضربات التي وجهت إلى العالم الإسلامي كأنها وجهت إلى أعماق قلبي.

ولم يقف النورسي عند حد التوجع والتألم على هذه الفجائع ويندب حظه باللطم والبكاء، ولكنه بلور حزنه وألمه إلى واقع فعلي، فأتخذ موقفاً حاداً من الاستعمار، وقام بكشف خباياه، وهاجمه وأنتقد حضارته بلهجة قوية رادعة.

ويظهر ذلك في كتابه الذي ألفه " الخطوات الست " الذي رد فيه على دسائسهم وفضح أطماعهم التوسعية الاستعمارية، وقد نشر ووزع سراً في جميع أرجاء استانبول، ولما وقعت نسخة من هذا الكتاب في يد قائد قوات الاحتلال غضب، وقرر غيابياً إعدام بديع الزمان بأي شكل من الأشكال، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يلحقوا به أي أذى خوفاً من ثورة عشائر الأناضول "[٢].

كما أظهر النورسي كذلك التعارض بين أطماع الإنجليز ومصلحة الإسلام فيقول:

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١٣٣، ١٣٤. وانظر. د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته ص٧٢. وانظر/ إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٤٥، وأنظر. د/ سمير محمد رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص٥٦، ٥٧. بتصرف

(٢) د/ سمير محمد رجب: الفكر الادبى، ص٥٨، وأيضاً د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٧٣.

" إن أشد العقول بلاهة عقل يرى إمكانية التوفيق والتلائم بين أطماع الإنجليز ومنافعهم وبين عزة الإسلام ومصلحته" (١).

ومن مواقف بديع الزمان الجريئة، أنه تصدى فكرياً لإحدى المؤامرات على الإسلام والتي نظمها الإنجليز .

" فقد وجه الإنجليز عن طريق الكنيسة (انجلكان) ستة أسئلة إلى المشيخة الإسلامية للرد عليها في ستمائة كلمة، فوجهت المشيخة هذه الأسئلة إلى بديع الزمان، وكان جوابه أن هذه الأسئلة لا يجاب عنها بستمائة كلمة، ولا بست كلمات، ولا بكلمة واحدة، بل ببصقة واحدة على الوجه الإنجليزي اللعين " (٢).

ويؤكد النورسي على أن الإستعمار هو السبب الأصلي في معاناة الأمة الإسلامية وفي ارتكاب حكامنا الأخطاء، فيقول: " أيها الوسواس الخناس إنك السبب الأصلي للسيئات التي ارتكبها رؤساء أمورنا، ما هو إلا أنت، لأنك قد ضيقت عليهم الدنيا، وقطعت في كل فرصة مجاري حياتهم، وشتت بينهم أولادك غير الشرعيين، وأجبرتهم على ترك الدين للدنيا، إذ تنكحهم مدنية لا تأخذ مهرها إلا من دينهم ولا تعين حاكماً إلا وقد أخذت منه دينه رشوة لقاء منصبه " (٣) ومن ثم " فأن الأوروبيين، ولاسيما شياطين إنجلترا وأباليس الفرنج، خصماء معاندون أبداً للمسلمين وأهل القرآن "(٤).

ومن ناحية أخرى يؤكد النورسي على أن الهجوم الاستعماري على العالم الإسلامي ينبغي أن يكون أداة نافعة في الدفع بالحمية الإسلامية وظهور المعتقدات الأصلية حتى تستطيع مواجهة هذا الزحف فيقول:- " إن هجوم الأجانب كإنجلترا وإيطاليا على هذه

---

(١) بديع الزمان النورسي: رسالة الخطوات الست، صقيل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، ص٥٥٥، سوزلر، القاهرة.

(٢) د/ فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص٧٣-٧٤، وأيضاً د/ سمير رجب: المرجع السابق، ص٥٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: صقيل الإسلام، ص٥٥٣.

(٤) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي النوري،ص١٨٠،ترجمة إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة،٢٠٠٣م

الحكومة – العثمانية– في الآونة الأخيرة يؤدي إلى إثارة الحمية الإسلامية، وهي ركيزة حقيقية ومنبع قوة لمعنويات حكومات ضمت في هذا الوطن منذ أمد بعيد، وستصبح وسيلة لإحياء الشعائر الإسلامية – إلى حد ما – ولدفع شيء من البدع "[١].

ومما سبق يتضح دور النورسي البارز في مواجهة الاستعمار، الأمر الذي يعكس مدى قدرة الإسلام على مواجهة أي محاولة لبذر الخلاف والشقاق بين المسلمين، كما أن المسلمين من خلال الإسلام استطاعوا أن يواجهوا أي محاولة للسيطرة عليهم.

ولعل التاريخ شاهد على أن الإسلام من خلال علمائه قد استطاع أن يحافظ على الهوية الثقافية للأمة الإسلامية ضد كل محاولات المسخ والتشويه التي حاول أن يفرضها الاستعمار على مجتمعاتنا الإسلامية.

عضويته في جمعية الهلال الأخضر:

كان لبديع الزمان نشاط اجتماعي إلى جانب نشاطه العلمي، فقد أنضم لجمعية الهلال الأخضر، وقد شكلت هذه الجمعية بهدف محاربة شرب الخمر، ومحاولة منعها نهائياً ٠

وكان سعيد النورسي يقول لهم: " لا بد أن نستفيد من المناقشات والحوار الذي يجري على صفحات الصحف والمجلات وفي المحاضرات " [٢].

ظهور أتاتورك على ساحة الأحداث وموقف النورسي منه:

بدأ نجم أتاتورك يظهر على ساحة الأحداث في تركيا أكثر فأكثر بداية من استعانة السلطان " محمد وحيد الدين "* " بمصطفى كمال " للعمل على تجنيد القوى الوطنية والشعبية من خلال ذهابه للأناضول لإنقاذ البلاد، وقد وضع فيه السلطان ثقته، خاصة بعد أن كان مرافقاً له في جولته الأوربية، ولكن مصطفى كمال أخذ يعمل لحسابه الخاص ورأى أن الأمور بوضعها الراهن لا تسير كما يرجو هو.

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات،ص١٥٨ ترجمة، إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة،٢٠٠٤م

(٢) د/ سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند بديع الزمان، ص٥٧. بتصرف

وفي هذه الأثناء اشتعلت البلاد بالحركة القومية بسرعة، وتم انتخاب " مصطفى كمال " رئيساً لمؤتمر ارضروم سنة (١٩١٩) وتظاهر فيه بالولاء للسلطان، ولكن القلاقل التي كان يصطنعها الحلفاء للسلطان لم تتوقف، وكانوا بدورهم يعملون على أن يسطع نجم مصطفى كمال وأن يكون محط آمال الناس، وتزعم فعلاً حرب الاستقلال وألهب عواطف الجماهير بخطبه النارية وتعلقت به فعلاً آمال كثير من الناس حتى خارج حدود تركيا " [1]

فنرى مثلاً: " أمير الشعراء شوقي " يقول فيه شعراً مشهوراً شبهه فيه بسيف الله المسلول خالد بن الوليد:

الله أكبركم في الفتح من عجب... يا خالد الترك جدد خالد العرب

ويجعله في مصاف القائد " صلاح الدين الأيوبي " فيقول:-

حذوت حرب الصلاحين في زمن... فيه القتال بلا شرع ولا أدب

ويجعل انتصاره على اليونان كانتصار المسلمين في" بدر" فيقول:-

يوم كبدر فخيل الله راقصة.... على الصعيد وخيل الله في السحب.

تحية أيها الغازي وتهنئة.. بآية الفتح تبقى آية الحقب. [2]

ولعل هذا يظهر لنا أن الرؤية لما يقوم به " مصطفى كمال " عند أغلب الناس كانت سطحية وضبابيه، وكما يقال في المثل الدارج (الوش يغش) ولكن البواطن والنوايا لا يعلمها إلا الله، فالناظر من بعيد، ينظر إلى ما يقوم به أتاتورك على أنه عمل وطني، مع أن الأيام كشفت ما تطويه نفوس الخفافيش، والتاريخ أظهر ما كان يخطط له في الظلام بأنها مؤامرات ضد الإسلام.

وتتابعت الأحداث بسرعة فائقة، فمن مؤتمرات قومية، إلى إدارة حرب محدودة ضد

---

(١) د/ سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند بديع الزمان، ص٢٤،٢٣. بتصرف.

* تولي السلطان " محمد وحيد الدين " السلطة عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م.

(٢) المرجع السابق نفسه، نقلا عن د/ على حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي ص٢٦٨-٢٦٩، دمشق ١٩٨٢م.

جيوش الاحتلال، إلى حرب (سقاريا وأزمير) ضد اليونان، إلى جمعيات تناهض الأعداء في كل مكان، إلى تأسيس المجلس الوطني الكبير واختيار " مصطفى " رئيساً له، وتشكيل حكومة في أنقره من قبل هذا المجلس، واختيار " عصمت اينونو " لمباحثات مؤتمر لندن سنة(١٩٢١م) وعقد اتفاقية (قارس) مع روسيا في سنة(١٩٢٢م) ثم الهجوم الكبير واكتساح العدو اليوناني وإلقائه في البحر، والتفاف كل قوى الشعب وطرقه الصوفية وعصاباته المسلحة حول هذا القائد المنقذ.

وكان لجوء " وحيد الدين " إلى الأسطول الإنجليزي كالقشة التي قصمت ظهر البعير.

فقد أستغل مصطفى كمال الفرصة وأعلن سنة (١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م) إلغاء السلطنة "[١] على أن يكون الخليفة مجرد رمز ديني للمسلمين، وقد لجأ مصطفى كمال إلى هذه الخطوة كمرحلة تسبق المرحلة النهائية، وهو يعلم تمام العلم تبعات مثل هذا التصرف الخطير.

ولهذا نراه عندما دعا الجمعية الوطنية إلى اجتماع طارئ وطالبها بفصل السلطنة عن الخلافة ثار النواب جمعياً على هذا القرار، ولم يؤيده سوى ثمانين شخصاً من أنصاره أيدوه ومسدساتهم أمامهم.

وهنا صعد مصطفى كمال المنصة قائلاً: " إن هذا أمر مفروغ منه وسينفذ شئتم أم أبيتم ولكن حذار، فإذا ما تماديتم في معارضتكم، فأن رؤوسكم ستسقط "[٢]

وبدأ جو من الإرهاب يمارس في تركيا لتنفيذ المؤامرات الاستعمارية ضد الإسلام في شخص مصطفى كمال على أرض الواقع.

" ولم يلبث غير قليل حتى ظهر على حقيقته، وأنه صنيعة لأعداء الإسلام، من اليهود والنصارى، وخاصة إنجلترا التي رأت أن إلغاء الخلافة ليس بالأمر الهين، وأن ذلك لا يمكن أن يتم دون اصطناع بطل وإعطائه صورة عظيمة، وإظهار هالة حوله وتصويره

(١) د/ سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص٢٤، ٢٥. بتصرف.

(٢) د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٢١. بتصرف.

وكأن المعجزات تجري على يديه، ومنها يمكن توجيه الطعنة على يديه "[١].

" وفي السابع من شهر نوفمبر عام (١٩٢٢م) وصلت سيارة إسعاف بريطانية إلى قصر " يلدز " فخرج " وحيد الدين " من الباب الخلفي للقصر وغادر تركيا إلى الأبد، وفي اليوم نفسه زف " تشارلز هارنجتون " إلى مصطفي كمال البشرى التالية:-

أحيط علم سيادتكم بأن وحيد الدين قد غادر استانبول نهائياً.

وبرحيل وحيد الدين عن أرض أجداده، استسلمت البلاد والعباد إلى حكم مصطفى كمال ورفاقه، وفي عام (١٩٢٢م) عين " عبد المجيد " خليفة بدلاً من " وحيد الدين " وكان صورة لا قيمة لها ولا شأن "[٢].

وفي هذا العام نفسه (١٩٢٢م) دعُي النورسي إلى زيارة أنقره بناء على استدعاء مصطفى كمال حتى يكافئه عن نشر رسالة " الخطوات الست ".

وحين ذهب النورسي إلى أنقره استقبل استقبالاً حافلاً، ولكنه سرعان ما استحوذ عليه الحزن عندما رأى زندقة رهيبة تدب بخبث ومكر، وتتسلل بمفاهيمها الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة، بغية إفسادها وتسميمها.

ويقصد النورسي بكلامه السابق النزعات الطبيعية الإلحادية التي بدأت تنتشر في تركيا مما جعله يؤلف رسالة " الطبيعة " للرد على الماديين.

وفي أنقره قام النورسي بإلقاء بيان إلى مجلس الأمة، وسبب إلقاء هذا البيان يرجع إلى عدم مطابقة سلوك معظم النواب للشريعة الإسلامية، حيث وجدهم لا يؤدون الصلاة فأكد في بيانه على أهمية التمسك بالإسلام، والمواظبة على الصلاة، والحفاظ على الهوية الإسلامية، وضرورة تطبيق الشريعة.

وكان من نتيجة هذا البيان: إستقامة الكثير من النواب على التدين وأقاموا الصلاة، كما كان سبباً للنقاش الحاد مع مصطفى كمال الذي قال للنورسي: " إننا بحاجة إلى عالم قدير

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف النورسي عصره ودعوته، ص٢١. بتصرف.

(٢) د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٢٢. بتصرف.

مثلك فقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من أرائك السديدة فاستجبتم الدعوة، إلا أن أول عمل قمتم به هو كتابة أمور حول الصلاة فبذرتم الخلاف بيننا.

فأجابه النورسي بلهجة عنيفة مشيراً إليه بإصبعه: " باشا إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة، وأن الذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مردود.

لذلك قرر مصطفي كمال إبعاده عن أنقره، وحاول إغرائه بالمال والوظائف العليا وعرض عليه تعيينه في وظيفة الواعظ العام في الولايات الشرقية بدلاً من الشيخ " السنوسي " ولكن

النورسي رفض ذلك كله، مؤكداً أن مهمته أصبحت إنقاذ الحياة الأخروية لملايين الناس .

ومنذ تلك اللحظة فقد أدرك النورسي أن مصطفى كمال: يجر تركيا إلى الهلاك والهاوية وقد أخذ النورسي على عاتقه مواجهة ممارسات أتاتورك في أجزاء من رسائله، وفي محاكماته المختلفة في تركيا.

وغادر النورسي أنقره إلى" وان " في عام(١٩٢٣م) وأصابه حزن عميق لما رآه في أنقره ومن أعضاء مجلس النواب، جعله يكثر من التهجد والعبادة والشكوى إلى الله.

ولعل هذه الفترة التي قضاها في" وان " على جبل " آرك " كانت بداية لعدم الاندماج في الأمور السياسية والاتجاه إلى طريق العزلة والعبادة "[1] إلي حين.

هدم الخلافة الإسلامية وإعلان الجمهورية العلمانية:

لم يكن في وسع المرء تصور إزالة الخلافة الإسلامية بتلك السرعة التي جرت بها ولكن

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية،ص١٨١- ١٨٥، وأنظر/ إحسان قاسم الصالحي: النورسي نظرة عامة، ص٥٢- ٥٥

وانظر : د/ فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص٧٤- ٧٦، د/ سمير رجب – المرجع السابق/ ص٥٩-٦١

أعداء الإسلام كان جل همهم هو تمزيقها وطعنها الطعنة الأخيرة "[1]

ولتنفيذ ذلك عقد مصطفى كمال مع الحلفاء في (٢٤/ ٧/ ١٩٢٣م) معاهدة "لوزان" واعتبرها نصراً عظيماً، والواقع أنها كانت هزيمة حقيقية وقع فيها نظام "مصطفى كمال" على وثيقة تنازل تركيا عن لغتها وتاريخها ودينها وكرامتها وشرقيتها، فقد وضع "كرزون" رئيس الوفد الإنجليزي أربعة شروط للاعتراف بأستقلال تركيا، وهي:-

١- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.

٢-إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءاً تاماً.

٣- إخراج الخليفة وأنصار الخليفة والإسلام من البلاد ومصادرة أموال الخليفة.

٤- اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم (الإسلام) وإعلان علمانية الدولة.

ولهذا أعلن مصطفى كمال فجأة وبلا مقدمات في الجمعية الوطنية النظام الجمهوري في البلاد وأدرك النواب الذين تجمد الدم في عروقهم أنه يريد من وراء ذلك إلغاء الخلافة، فأصبح مصطفى كمال بموجب الإعلان السابق رئيساً للجمهورية ورئيساً للجمعية الوطنية وقائداً أعلى للجيش وزعيماً لحزب الشعب الذي شكله وجعله الحزب الوحيد المرخص في البلاد، بالإضافة إلى ممارسته الفعلية لرئاسة مجلس الوزراء، ولم يبق أمامه إلا الإقدام الفعلي على إلغاء الخلافة.

وبالفعل أستصدر يوم (٣/ ٣/ ١٩٢٤م) قراراً من الجمعية الوطنية بإلغاء الخلافة بعد تمثيلية قام بها "الأغا خان" بإيعاز من الإنجليز، وإطلاع مصطفى كمال عليها .

وفي منتصف الليل جاءت سيارة إلى قصر "يلدز" بصحبة حامية من رجال البوليس والجيش فحملت "عبد المجيد" في ثياب نومه ومعه جميع أفرد "آل عثمان" وأخرجوهم خارج الحدود وأسدل الستار على تاريخ أسرة عظيمة خدمت الإسلام ورفعت رايته في كثير من البلدان، وبدأ عهد النموذج الأول – الرجل والتجربة- الذي أقامه الغرب مثالاً

(١) د/ سمير رجب:الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص٢٧.

تحتذي به دول الشرق الإسلامي.

والحق أن هذا الصنيع أثار موجه عارمة من السخط في العالم الإسلامي وخاصةً مصر فالدولة الإسلامية العثمانية على عيوبها كانت تمثل الرمز للخلافة الإسلامية التي أستظل الجميع بظلها، وكانت درعاً حصيناً للمسلمين في كل مكان أحسوا معها بالعزة والكرامة وصاروا بدونها أيتاماً على موائد اللئام "[1].

إجراءات التغيير والتحويل وموقف النورسي منها:

" بعد إلغاء الخلافة وطرد السلطان العثماني نهائياً خارج تركيا عام (١٩٢٤م) صار " مصطفى كمال " من يومئذ رئيساً للجمهورية، ومن هذا التاريخ شرع في اتخاذ عدة إجراءات لتغيير عقلية الشعب التركي، وتحويله من شعب شرقي مؤمن بالإسلام إلى شعب غربي يؤمن بالعلمانية ويقدس أتاتورك ٠

فألغى وزارة المحاكم الشرعية، ووزارة الأوقاف عام (١٣٤٣هـ-١٩٢٤م) وعهد بشئونها إلى وزارة المعارف ٠

وفي عام (١٣٤٤هـ-١٩٢٥م) أغلقت المساجد، وقضت الحكومة في قسوة بالغة على كل تيار ديني كما حدث مع حركة الشيخ " سعيد بيران " الذي كان زعيماً بارزاً بين العشائر الكردية، وطلب من الشيخ سعيد النورسي الاشتراك معه في الثورة ضد الحكومة التركية لوقف قرار الإلغاء وإعادة الخلافة.

ولكن النورسي رفض لعدم رغبته في دخول حرب ضد إخوة له في الإسلام، وفشلت الحركة، وبدأت الحكومة في القبض عليهم، وحكم على الشيخ " سعيد بيران " وكثير من أتباعه بالإعدام شنقاً، وذلك لكي لا تقوم لعلماء الدين قائمة "[2] ٠

" وبالرغم من عدم اشتراك النورسي، إلا أن الحكومة أرسلت قوة لاعتقاله من فوق الجبل الذي كان يتعبد فيه، وأرسل إلى استانبول، وظل عشرين يوماً تحت الحراسة، حيث

(١) د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص ٢٢،٢٣ بتصرف.

(٢) د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٢٤.بتصرف.

صدر الأمر بنقله إلى مدينة " بوردو " وظل منفياً فيها لمدة سبعة شهور تفرغ فيها للعبادة وتأليف رسالة (المدخل إلى النور) وهي عبارة عن دروس من القرآن "[١] .

" وتوالت إجراءات التغيير الكمالية برصد حركات الدعاة والوعاظ والأئمة والخطباء وتتبعت ما يقولون أو يعملون في جو من الإرهاب الفكري الصارم، والتهديد بالسجن والتعذيب والإعدام ومراقبة من يتحدث عن الخلافة .

كما حددت الحكومة عدد المساجد ولم تسمح بغير مسجد واحد في كل دائرة، وتم تخفيض عدد الوعاظ وأغلق أشهر جامعيين في استانبول هما:-

أولهما: هو مسجد " أياصوفيا " حيث حول إلى متحف .

والثاني: هو مسجد " الفاتح " حيث حول إلى مستودع .

وأعلن أن الروح الإسلامية تعوق التقدم، كما صدر قرار بفرش المساجد بالكراسي وإستخدام (الأورج) فيها حيث تتم تلاوة القرآن بمصاحبة الموسيقى تشبهاً بفعل النصارى في كنائسهم .

أما الشريعة فقد استُبدلت بالقانون المدني السويسري، وتم تغيير التقويم الهجري واستخدام التقويم (الغريغوري) الغربي، كما أغفل الدستور النص على أن تركيا دوله إسلامية، وتم تغيير نص القسم الذي يقسمه رجال الدولة عند توليهم المناصب، فأصبحوا يقسمون بشرفهم على تأدية الواجب بدلاً من أن يحلفوا بالله .

وتم تغيير العطلة الرسمية، فلم تعد الجمعة، بل أصبحت يوم الأحد، وحرم الاحتفال بعيد الفطر والأضحى، وطبعت طوابع بريد تمثل صورة " الذئب الأغبر " إله الأتراك القدماء.

وتم إلغاء التعليم الديني وأغلقت كلية الشريعة، ومنع تعلم القرآن بأي شكل أو صورة وفرض إجبارياً استخدام الأحرف اللاتينية بدلاً من الأحرف العربية.

---

(١) د/ سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص٦١. بتصرف

وأطلق العنان بحرية كاملة لنقد الدين والتحايل عليه وانتقاصه بمختلف الوسائل والأساليب وقصر الوظائف على المعادين للدين، وانتشرت النعرة القومية، والبنوك الربوية، وأنتشرت أندية القمار، وبيع الخمور، وتم الترويج لانتشار الفسق والفجور على نطاق واسع.

وكان للصحف دورها الخطير في نشر ما يطلق عليه الأدب المكشوف تصويراً للعلاقات الجنسية الخالية من أي حشمة أو حياء، وتم إرسال الفتيات للتعليم بالخارج دون أن يكون معهن محارم.

وترويجاً للفاحشة شاركت الدولة في مسابقة جمال العالم، وكانت أولى البنات المشاركات والتي فازت بالدرجة الأولى حفيدة آخر شيخ إسلام في الدولة العثمانية، وأصبح التكشف والعري وارتداء الملابس الفاضحة بأسم الموضة، وباتت الشوارع والمتنزهات أماكن للفسق والفجور "[١].

كذلك صدرت القوانين بتحريم تعدد الزوجات، وإلغاء المهر وعدم فرضه على الزوج ومنع حق الزوج في الطلاق.

وحرية المرأة المسلمة التركية من الزواج بنصراني أو يهودي دون التقييد بشرط الإسلام، وتسوية الذكر والأنثى في الميراث، وإلغاء نظام فصل النساء عن أماكن الرجال.

كما صدر قرار بإلغاء لبس الطربوش وأمرت بلبس القبعة "[٢].

هذه وغيرها من القرارات التي أراد أتاتورك من ورائها تقليد كل ما هو غربي ومسخ وتغيير كل ما هو إسلامي..

ولكن النورسي الذي جعل روحه فداء الحقائق الإسلامية لم يقف مكتوف الأيدي، بل رفض قرار أتاتورك بإقامة الأذان باللغة التركية بدلاً من اللغة العربية، ورفض مسألة ترجمة القران إلي اللغة التركية لأن هذا يفرغ القرآن عن محتواه، وإعجازه البلاغي القائم

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٢٤-٤٠ .بتصرف.

(٢) د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٢٦- ٣٦. بتصرف.

على اللغة العربية، ونجد في رسائل النور موقفاً واضحاً وجلياً من تلك القضايا فيقول:-

" إن التعبير بأي لغة غير اللغة العربية عن حقائق القرآن وتسبيحات الصلاة وسورة الإخلاص والفاتحة التي تتكرر دائما ضار جداً " (١)

كما أنه " لا يمكن قطعاً ترجمة القرآن ترجمة حقيقية، وأن أي شيء غير اللغة العربية الفصحى عاجزة عن الحفاظ على مزايا القرآن الكريم ونقطه البلاغية اللطيفة، وأن الترجمات التي يقوم بها البشر لن تحل بأي حال محل التعابير الجامعة المعجزة للكلمات " القرآنية " ومن ثم لا يمكن للترجمة أن تقوم مقام الألفاظ القرآنية "(٢).

" كما أن شمولية اللغة العربية الفصحى وسعتها، والبيان المعجز في الألفاظ القرآنية تحولان دون ترجمة تلك الألفاظ، لذلك لا يمكن ترجمتها قطعاً " (٣)

وعلى الرغم من عزلة النورسي إلا أنه لم يكن بعيداً عن الأحداث، فيقول:-

" طرق سمعي أن زنديقاً عنيداً قد نضح سوء طويته وخبث مقصده بإقدامه على ترجمة القرآن، فحاك خطة رهيبة للتهوين من شأنه بمحاولة ترجمته وصرح قائلاً: ليترجم القرآن لتظهر قيمته...، إلى آخره من الأفكار السامة، إلا أن رسائل النور بفضل الله قد شلت هذه الفكرة، وعقمت تلك الخطة بانتشارها الواسع في كل مكان " (٤)

نعم لقد واجهت الرسائل مسألة ترجمة القرآن من خلال كشفها عن إعجاز القرآن في لغته الأصيلة والأصلية.

كذلك رفض النورسي مسألة إقامة الأذان باللغة التركية، وكان يقيم الآذان باللغة العربية هو وبعض أهالي قرية بارلا، وهذا ما أدى إلى سجن النورسي وعدد من أهالي قرية بارلا.

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤٣٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٣٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤٣٩.

(٤) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم، ص٣١٥، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤ م.

ونجد موقف النورسي الرافض لإلغاء الشريعة واستبدالها بالقانون المدني السويسري في رسائله واضحاً، وفي دفاعه أمام المحاكم، ومظهراً عور أفعال أتاتورك فيقول:

" أليس من الجناية على الإسلام أن تستجدي الأحكام من أوربا ولنا شريعة غراء تأسست قبل ثلاثة عشر قرناً، إن هذا الاستجداء شبيه بالتوجه إلى غير القبلة في الصلاة"(١)

ولقد اتخذ النورسي موقفاً حاداً من مسألة القبعة ورفض ارتدائها وكان في تصميمه على عدم ارتداء القبعة سبباً لمحاكمته وإدانته فيقول:-

" لقد أبرزوا عدم قيامي بلبس القبعة كسبب مهم لإدانتي ولم يسمحوا لي بالكلام، إن شخصاً منزوياً مثلي قاسى عشرين عاماً بسبب عدم لبس القبعة، علماً بأن المجتهدين وجميع شيوخ الإسلام منعوا لبسها، والآن يعودون إلى إيذائي وعقوبتي دون وجه حق.

فكما لا يتعرض أحد إلى الذين يشربون الخمر جهاراً نهاراً في شهر رمضان ولا يصلون بأسم الحرية الشخصية، لذا فإن الذي يتهمني من أجل قيافتي مراراً وتكراراً بهذا العناء سوف يسألون عن هذا أمام الله "(٢).

وينتقد النورسي أتاتورك في سعيه لتحقيق الاختلاط بين الرجال والنساء ونشر الفجور والرذيلة وإلغاء الحجاب للمرأة، وتشجيعه للحفلات الراقصة فيقول: " إن رفع المدنية السفيهة الحجاب وإفساحها المجال للتبرج يناقض الفطرة الإنسانية، وأن أمر القرآن الكريم بالحجاب فضلاً عن كونه فطرياً فأنه يصون النساء من المهانة والسقوط ومن الذلة والسر المعنوي ومن الرذيلة والسفالة "(٣) ولهذا سمي رسالته برسالة " الحجاب " وقام بتوزيعها ونشرها وتوزيعها على الفتيات والنساء.

ومما سبق يتضح أهمية دور النورسي في تلك الفترة، حيث لم يقف مكتوف الأيدي إيذاء

---

(١) بديع الزمان النورسي: الخطبة الشامية، صيقل الإسلام، ترجمة. إحسان قاسم، ص٥٢٧، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات،، ص٥٠٧، ٥٠٨ .

(٣) بديع الزمان النورسي:رسالة الحجاب، اللمعات، ص٣١٥، ترجمة.احسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤ م

التغيرات الجذرية التي تحدث في تركيا، وواجه أغلب التغييرات التي أحدثها أتاتورك، وسعى للحفاظ على الثوابت الإسلامية.

المرحلة الثانية: " سعيد الجديد " وهي مرحلة النفي والسجن والعزلة.

تبدأ هذه المرحلة إبتداءاً من إقامة سعيد النورسي في منفاه بمدينة " بارلا " سنة (١٩٢٦م) وتستمر حتى خروجه من سجن " أفيون " سنة (١٩٤٩م) وكان شعار النورسي المعلن في هذه المرحلة – لتفويت الفرصة على الكماليين – ما رددده مراراً بقوله: " أعوذ بالله من الشيطان ومن السياسة "[1].

وليس معنى هذا أنه تخلى بالفعل عن السياسة، فالواقع أن السياسة التي عناها وتركها بالفعل هي السياسة: التي يقول القائمين عليها شيئاً ويفعلون غير ما يقولون.

والسياسة القائمة على التزلف والنفاق والمصالح الذاتية، والتي نحت الدين جانباً وولى أصحابها وجوههم نحو الغرب والسير في ركابه.

ولهذا رأيناه في هذه المرحلة بالذات يقف بكل قوة في وجه " لقطاء أوربا " والتيارات الإلحادية الشاملة، رغم ضراوة الهجمة وشراستها، ورغم ما تعرض له من نفي وسجن واعتقال.

ولكن ما هي السياسة التي اتبعها في هذه الفترة، والخطة التي استخدمها في تلك المرحلة ؟؟؟

هذا ما سنتحدث عنه فيما يلي...

سياسة الالتفاف الحكيمة " الدفاع الاستراتيجي ":

" لقد راوحت حياة النورسي بين السرية، والحرية، والانطلاق، وبين السياسة والتعليم وبين المحفلية والانعزال، وبين السجن والتحرير، وبين المدنية والعسكرية، وبين التحضر والفطرية، وبين الروحي والعقلي..

---

(١) د فرج محمد الوصفي: النورسي عصره ودعوته، ص ٨٠.

ولم يكن في هذا كله في وضع الفصامية، ولا استهواه حال تمثيل الأدوار واختطاف الأضواء شأن المتهافتين ومن لا تحدوهم عقيدة، ولكن تكاملت لديه طبيعة تمازج بصرامة ووعي بين المقومات الأخلاقية والوجدانية.

وذات السبيل سلكه النورسي تقريباً في حياته وفي صلته بالناس، فقد تعاقبت عليه أطوار شتى اقتضت منه أن يتحلى لكل طور منها بألوان من البيان المعرفي والمسلكي.

ولعل ما دفع بهذا الرجل الفذ إلى ذلك، هي ظروف التاريخ والجغرافيا، وبحكم انتمائه إلى بلد كان يعقد على رأسه بالأمس القريب راية الأمة الإسلامية إلى أن يبارز كتائب الغرب المحتل " ولقطاءها " وأن يخرج فرداً إلى الساحة يحمل سيف البسالة الدينية والتحميس في وقت كانت سنابك خيل العدو تدنس شوارع الحاضرة الإسلامية استانبول على إثر انهزام الدولة العثمانية في الحرب الكونية الأولى.

لهذا اختاره القدر ليسلك به هذا السبيل معلماً شامخاً في تاريخ الفكر الحديث، وليجعل منه محطة توليد روحية دائمة التفعيل، ذاتية التعبئة، تعمل بإشعاع القرآن " [1].

" ولعل اختياره للقرآن كسلاح أساسي واستراتيجي في الدفاع وصد الهجمات، لأنه سمع عن خطة الغرب الموجهة ضد القرآن، حيث يقول جلادستون: مادام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به. وكان الرد الصحيح على ذلك أن يقطع النورسي على الغرب هذا الهدف، على أساس أنه مادامت قد وقعت الهزيمة فلا بد من نوع من الدفاع الاستراتيجي (أي وقف تحقيق العدو للمزيد من الأهداف وإيقاف مسلسل الهزيمة عند هذا الحد الذي وصلت إليه) تمهيداً للهجوم المضاد ٠

وهكذا جاء اهتمام النورسي بإثبات إعجاز القرآن كنوع من الدفاع الاستراتيجي أمام مخططات الغرب.....

ولا شك أن النورسي أحدث الأثر المطلوب من هذا الدفاع، وكان عبقرياً في اختيار

---

(١) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن،ص١٢، ١٣ سوزلر، القاهرة، ١٩٩٩م.بتصرف.

هذا الأسلوب "[١].

ولعل منهجه العملي والواقعي بعيد المدى وهو ما يمكن تسميته "بسياسة الالتفاف الحكيمة" تؤكد أن النورسي لم يهجر الحياة السياسية، ولم يخل الموقع ولم ينهزم، ولكنه قام بعملية التفاف على التدني والحطة الروحية والمفاسد الخلقية والهوان الحضاري والإستيلاب المقيت واللافاعلية البنائية، وفتح جبهة من الخشود والإتباع، وفتح حيالهم كتاب الله وجعل يقرؤه على الأسماع ومضى يكشف لهم عن الأدواء، ويدلهم على العلاج، مستخلصاً من كتاب الله ومن تعاليمه التي شاءها لعبادة أن تكون ناموساً يهديهم ويصلح بالهم ويشملهم بالسعادة •

وجعل يهتف بالناس: ألا إن صعيد الله رحيب، لا تتزاحم في حلبته النفوس، ولا تتراكل ولا ينهش بعضها بعضاً لقاء مغنم وضيع.

ومن حزمه وجلاء بصيرته جعل النورسي منذ المنطلق خطاً فاصلاً بين منهاجه القرآني ومنهاج السياسيين

لقد رفض أن يسلك معهم أرضاً واحدة أو يبيت نية التصادم أو الاشتباك مع الساسة والخصوم "[٢].

وهذا ما دفعة للتصريح بالاستعاذة بالله من الشيطان والسياسة فيقول: "أعوذ بالله من الشيطان ومن السياسة، لكي أحافظ على نور القرآن "[٣].

ولعلنا نلحظ في قول النورسي أنه قدم الاستعاذة بالله من الشيطان أولاً، ثم تلاها بالسياسة وهذا يلمح لنا أن السياسة التي يرفضها ويرفض السير في ركابها، هي السياسة التي جعلت من الشيطان قائداً ومرشداً وأستاذاً لها، ذلك الشيطان الأوروبي الذي عشش

---

(١) حسين عاشور: أعمال مؤتمر بديع الزمان وتجديد الفكر الإسلامي، ص١٨١-١٨٢، إستانبول، البحوث العربية، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٢م.

(٢) د عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٢٦٨، سوزلر، القاهرة. بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٦١، ٣٤٦ وانظر الشعاعات، ص٤٣٨، ٥٤٢، وصيقل، ص ٣٦١، ٣٩٩ •

في عقول الساسة اللقطاء، فباض الفتنة والنفاق والشقاق والتآمر على الإسلام، وفرخ العلمانية اللادينية واللاأخلاقية.

من هنا كانت استعاذة النورسي أولاً من الأستاذ الشيطاني الأوربي، ثم من تلاميذه السياسيين الذين تدور سياستهم في فلك الغرب وتتحرك وفقاً للمتطلبات الغربية، فيقول:-

"إن السياسة الحاضرة لإستانبول شبيهة بالأنفلونزا، تسبب الهذيان فنحن لسنا متحركين ذاتياً بل نتحرك بالوساطة، فأوروبا تنفخ ونحن نرقص، ونحن نتصورها نابعة من أنفسنا "[١].

كما أن النورسي رأى أن السياسة السائدة في تركيا سياسة فاسدة، فرأى من الضروري عدم السير ورائها أو العمل من خلالها، لأنها من وجهة نظره تمثل سياسة الوحش المفترس الذي يلهث وراء منافعه الشخصية وأنانيته فيقول " إن السياسة الحاضرة الدائرة على المنافع وحش رهيب فالتودد إلى وحش جائع لا يدر عطفه بل يثير شهيته، ثم يعود يطلب منك أجرة أنيابه وأظافره "[٢].

وإذا كان حال السياسة السائدة هكذا، فالواجب علينا أن نحمي أنفسنا ونعتصم بالقرآن، لأن " سياسة المدنية الحاضرة تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، أما عدالة القرآن فلا تضحي بحياة بريء واحد ولا تهدر دمه لأي شيء كان، لا في سبيل الأكثرية، ولا لأجل البشرية قاطبة "[٣].

ولعل من الأسباب التي جعلت النورسي يستعيذ بالله من السياسة، لأن السياسيين الجدد يجعلون الدين في المرتبة الثانية أو الثالثة

بل زاد سعيهم للإطاحة بالدين وقتله وتكفينه لتحقيق مطامعهم السياسية، وهذا ما رفضه النورسي وأظهر عدم رضاه عنه، فيقول:

---

(١) بديع الزمان النورسي: السنوحات، صقيل الإسلام، ص٣٦١، سوزلر، القاهرة ٢٠٠٤م.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم، ص٨٥٠، سوزلر، القاهرة ٢٠٠٤م.

(٣) بديع الزمان النورسي: المرجع السابق، ص٨٦٢.

" إن الذين اتخذوا السياسة هدفاً لهم، يأتي الدين لديهم في المرتبة الثانية، ويكون حكمه حكم التابع، أما المتدين حق التدين فيرى العبودية لله تعالى أعظم غايته في الكون، فلا ينظر إلى السياسة نظر العاشق الولهان، بل ينظر إليها حسب مرحلتها، في المرحلة الثانية أو الثالثة، ويستطيع أن يجعلها أداة طيعة للدين والحقيقة "[١].

وهنا نلحظ أن النورسي لم يرفض السياسة التي تسير في طريق الشرع وتتبع الصراط المستقيم وتكون أداة طيعة للدين ومصالحه، وفي المقابل " لا يجعل الدين أداة للسياسة، بل يتخذ السياسة آلة للدين ومصالحه وفي وئام معه " [٢]

ويرفض السياسة القائمة في بلاده والتي تساهم في نشر الإلحاد في أرجاء البلاد وتحاول أن تبعد الدين من طريقها، ومن ثم فإن " السياسة الحاضرة تفسد القلوب وتدع الأرواح الحساسة في عذاب، فالذي يروم سلامة القلب وراحة الروح عليه أن يترك السياسة " [٣] الفاسدة.

ومما لا شك فيه أن خطة النورسي المحجمة عن الخوض في الغمار السياسي الإعتراكي تحت لواء الدين لم تكن خطة تحايلية إتقائية غايتها التحرك تحت الريح، بقدر ما كانت اعتقاداً راسخاً بأن سمو القرآن وقداسة روحه ونورانيته لا بد وأن تتعالى عن أن يدلل بها على برنامج سياسي دنيوي منوط ببضع سنوات من السيادة الوهمية ٠

من هنا ربأ النورسي بألماسية القرآن عن أن تطرح في المضمار السياسي الترابي تدوسها الحوافر والأرجل، وتغطي عليها المشاغبات والتهيجات، لتصرفها عن دورها كدستور هيأه الله ليستوعب أعباء الحياة " [٤] فيقول: " إن سبب تجردي عن السياسة وتياراتها حتى لا أنجس قيمة حقائق القرآن التي هي أثمن من الألماس، ولم أجعلها بتفاهة قطع زجاجية بتهمة الدعاية السياسية، بل تزيد قيمة تلك الجواهر القرآنية على مر الأيام وتتألق أكثر أمام

---

(١) بديع الزمان النورسي:الملاحق، ترجمة إحسان قاسم، ص٢٥٩، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٢) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص ٣٣٤.

(٣) المرجع السابق نفسه: ص١٥٢.

(٤) د / عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٢٦٨، ٢٦٩، سوزلر، القاهرة.

أنظار كل طائفة "[١].

" بل لقد رأى النورسي أن مجرد التظاهر غير السوي بالشعار والنحلة الإسلاميين في مجتمع يضم أوساطاً تبعدها ثقافتها وتربيتها عن روح الدين، هو إثارة لا محالة سترتد بالأثر السلبي على الدين، وستبيت لمناهضته من حيث كونها ترى فيه شأناً لا يهمها وبعيد عن أهوائها، ومتعارض مع رؤيتها "[٢]

لذا يقول النورسي: " ينبغي ألا تحجم عن القرآن جهة، ولا يكون موضع شبهة فئة مهما كانت، لذا علينا أن نلقي دروسه من موضع طاهر زكي، مبرئ من موحيات أفكار التيارات السياسية والانحيازات المغرضة "[٣].

" وهذا يكشف لنا أن النورسي نظر إلى السياسة بعمق وواقعية، وعَلِمَ ما تقوم عليه من دهاء، بحيث لا يتورع متعاطيها عن التضحية بكل القيم، بل وحتى بالمقدسات من أجل بلوغ الغايات المستهدفة ٠

لقد رأى الساسة ورأى ما يشيع في أجواء السياسة من نفاق ودجل ومحسوبية، وشاهد عن كثب، أن يد السياسي مفتوحة لمصافحة واحتضان الشيطان نفسه لقاء نيل المقصد الإنتفاعي الشخصي.

ووقف النورسي على مشاهد رأى فيها السياسي المسلم (أو المتلبس بالإسلام) يتواد مع نظيره السياسي الفاسق الذي لا يتورع أن يجاهر بمحاداة الله ورسوله، لا لشيء إلا لتلاقيهما في المصلحة.

الأمر الذي جعل النورسي يدرك أن السياسة هي لعبة قمار لا مجال فيها لما يعرف بالفضيلة، فأعتمد إثر خروجه من الحلبة السياسية على ثقافة، أو لنقل فلسفة فعالة، تساهم في خدمة الحياة، والمضي بها في الاتجاه البناء، وهذا بالانخراط في طريق لا يتوازى مع طرق السياسة فقط، ولكنه يتعارض معها، إنه طريق القرآن ٠

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، المكتوب الثالث عشر، ص٦١، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٢) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٢٦٩، سوزلر، القاهرة.

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٦١.

لقد تحول النورسي من حلبة السياسة المؤطرة بسياج من الأعراف التي تحكمها نزوات النخب المتصارعة على السلطة إلى أرض الواقع اللامحدود ٠

الواقع الذي لا تحركه تعليمات القيادات، وما تمر به أمزجتها من تلون، وما تمليه نوازعها البشرية من توجيهات لا تصيب إلا خمس دائرة المنفعة الذاتية، وتعزيز الدور، وتكريس روح عبادة الشخص والزعامة، والتعصب للأهواء المتلاطمة ٠

لهذا فأن النورسي لاذ بعيداً، ونتيجة نفور عميق عما رآه يعصف بسفينة السياسة من أمواج موبوءة، وأن يعتصم بسفينة السياسة الروحانية القرآنية، ليستمد من كنوزها الترياق السماوي ليُداوي به تفسخات واقع أمته قاطبة "[1].

ولكن هل وصل النورسي بسياسته الحكيمة ودفاعه الاستراتيجي إلى تحقيق أهدافه التي كان ينشدها.... ؟؟؟

الإجابة.. نعم، لقد أثبت أن سياسة القرآن هي الأصوب والأءمن والأفضل والأقوم وأثبت أنه هزم السياسيين المعادين للإسلام، وأشبعهم وأوجعهم من ضرباته النورانية التي أضاءت سماء تركيا بالحرية والمعرفة ٠

أما هم فقد حاولوا أن يصدوا هذه الهجمات النورسية بكتمها ونفيها وسجنها ووضع السم لصاحبها، ولكن شاءت إرادة الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

ونرى أنه على الرغم من الادعاء الوقائي للنورسي برفضه للسياسة (وهي رفضه للسياسة الفاسدة، وانتهاجه للسياسة الإسلامية الخالصة) فإن النظام الحاكم أيقن بهزيمته أمام السياسة الحكيمة للنورسي، فما كان له من حيلة إلا إلقاء التهم على النورسي بمحاولته لتغيير رموز ومبادئ الحكومة الجديدة.

ولو لم تكن الحكومة ترى في النورسي وسياسته ورسائله خطورة حقيقية عليها (أي على مطامعها ومبادئها اللااخلاقية وأهدافها التخريبية) لما سجنته أحيانا وعزلته أحياناً.

وكما يقال: لا تقذف بالحجارة إلا الشجرة المثمرة.

---

(١) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٢٦٦، ٢٦٧، سوزلر، القاهرة. بتصرف.

وهذا ما يؤكد بتواجد النورسي الحقيقي والفعلي والواقعي، ووجود موقف سياسي أصيل له تجاه الأوضاع السائدة في تركيا .

فقد حارب كل أسس الدولة العلمانية ومبادئها، وحارب السفور وتطبيق القانون السويسري وإلغاء الحروف العربية في الكتابة التركية، ورفض ترجمة القرآن والأذان باللغة التركية .

وكل هذا ينم عن تواجد موقف سياسي أصيل للنورسي.

ولذلك لم يقتنع الحاكم بموقفه، وعرفوا من خلال ضرباته الموجعة لهم، والموجه من جميع القواعد والأماكن التي يرى فيها النورسي أن بها خللاً ما، أنه يستعمل معهم سياسة الالتفاف الحكيمة (بعيداً عن الأعمال الثورية التخريبية الهدامة) ويستخدم معهم مبدأ: " الحرب خدعه ".

بارلا " المدرسة النورية " ومصدر الإشعاع الإسلامي (١٩٢٦م):

" بارلا .. هذه البلدة الصغيرة النائية التي تم نفي النورسي إليها لكي يخمد ذكره ويقل تأثيره، ويطويه النسيان، ويجف هذا النبع الإسلامي الفياض، ولكن شاء الله تعالى أن تكون هذه البلدة الصغيرة مصدراً لإشعاع إسلامي، أضاء فيما بعد أرجاء تركيا ووصل إشاعة إلى كل قرية، وكل ناحية، وكل مدينة فيها.

وأمام البيت الصغير الذي يعيش فيه النورسي كانت هناك شجرة " الدُلب " الضخمة تغرد على أغصانها آلاف الطيور تسبح بحمد ربها، وكانت تعلو هذه الشجرة غرفة خشبية صغيرة غير مسقفة وضعت بين أغصانها، وكان النورسي يقضي فيها أغلب أوقاته متعبداً ومتفكراً ومؤلفاً لرسائل النور.

قضى النورسي في هذه البلدة (بارلا) وفي هذا البيت ثماني سنوات ونصف سنة، ألف فيها معظم رسائل النور، لذلك فقد كان هذا البيت هو أول " مدرسة نورية "

وكانت هذه الرسائل يتدارسها طلابه فيما بينهم، ويقومون بنسخها وإرسالها سراً إلى

الأماكن القريبة والنائية من بارلا "[١].

النورسي في سجن أسكي شهر " المدرسة اليوسفية الأولى " (١٩٣٥م):

" في صباح باكر من أيام نسيان سنة (١٩٣٥م) هاجمت قوة من الجنود بيت سعيد النورسي واعتقلوه بعد تفتيش دقيق لأرجاء بيته، كما داهمت الشرطة منازل مائه وعشرين من طلبة النور في مختلف المناطق، حيث وضعت القيود في أيديهم وفي يد أستاذهم ومرشدهم سعيد النورسي وساقوهم جميعاً إلى سجن " أسكي شهر " ووضعوا في السجن الانفرادي والتجريد المطلق وبدأت معاملات التعذيب الرهيب بهم، ووجهت إليهم التهم بتشكيل جمعية سرية تعادي نظام السلطة القائمة وتسعى لقلبه، ورغم كل هذه الظروف القاسية والشاقة أستمر في الإرشاد والتوجيه، فتاب على يديه كثير من مجرمي السجن واتبعوا الطريق المستقيم "[٢]

وهذا يدلنا على وعي النورسي الجاد بقيمة الزمن، وحرصه الشديد على اقتناص الفرص واللحظات والأوقات التي تتاح له فتسوقه ليرسخ دعائم الإيمان في قلوب العباد.

ولعل هذا الصنيع كان يثلج صدره، ويواسي مشاعره، ويلملم جراحه، رغم ما يعانيه من ظروف ومضايقات وسجن وعزلة، بسبب دعوته للمعرفة الإيمانية ٠

ولكن عشقه للحرية وقول الحق، وإرجاع الناس إلى الحق، دليل أنه فارس همه الدعوة والتجديد والإصلاح دون التفكير فيما يحدث له من متاعب ٠

وهذا يذكرنا بحال الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم في مبايعتهم لرسول الله بقول الحق دون النظر إلى العواقب، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه " بايعنا رسول الله ﷺ

---

(١) احسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٦٤، وانظر.د/ فرج محمد الوصيف، النورسي عصره ودعوته، ص٨١

(٢) إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٧٨، ٧٩وانظر د/ سميررجب: الفكر الأدبي عند النورسي، ص ٦٢، ٦٣.

د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٨١ ٠بتصرف.

على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم "[١]

كما نلحظ أن النورسي في سعيه لنشر المعرفة الإيمانية وكسر قيود الاستعباد للنفس والإنسان وتحطيم أغلال غواية الشيطان لدى المجرمين وغيرهم، يعكس رؤيته التي كان مطمحها تقليب الأوضاع الرميمية، وإنقاذ البشرية من العمى والضلال، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم، فذلك مغنم لا يفوقه مغنم.

وهذه الحال النورسية تذكرنا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النَعم "[٢].

فكان النورسي يعيش حالة من التسارع والسباق " لهداية العباد " مخافة أن يدركه الأجل ويرتحل من غير رؤية منجزات يريد أن يخطها في لوح حياته التي أناط بها نفسه.."[٣].

ورغم سعيه للإصلاح وغرس المعرفة الإيمانية وارتواء الناس بالحرية " إلا أن المحكمة حكمت عليه بالسجن أحد عشر شهراً بسبب رسالة " حجاب المرأة " وهي اللمعة الرابعة والعشرون "[٤].

وما يهمنا في هذا الحدث هو موقف النورسي من قضية الحجاب للكشف عن دوره السياسي الفاعل والأصيل، وتعرضه لتصحيح الكثير من القضايا الشائكة تاريخياً في تلك الفترة، ومواجهته لإحباط مخططات أعداء الإسلام بكل ما أوتي من قوة وإحياء الإيمان في القلوب، وكان سلاحه في ذلك الإرشاد الديني لطلابه، ورسائله المتنقلة من بلد إلى بلد.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الناس الإمام، برقم (٦٦٦٠) .

(٢) سنن أبي داوود: كتاب العلم باب فضل نشر العلم، برقم (٣١٧٦) .

(٣) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ١٠٥، سوزلر، القاهرة.

(٤) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٢٥١، ٢٥٢، وانظر، إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٧٨، ٧٩.

د/ سمير رجب: الفكر الأدبي عند النورسي، ص٦٢.، د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٨١.

لنشر الوعي الديني بين الناس. وكانت " رسالة الحجاب " رداً لتصحيح الأوضاع المغلوطة في تركيا، ومحاربة حركة السفور التي تبناها أتاتورك وقام بتطبيقها عملياً من خلال " نزع حجاب المرأة التركية بالقمع والإرهاب والإهانة في الطرقات، فقد كان البوليس يقوم بنزع حجاب المرأة التركية بالقوة "[1]

ولعل هذه القوانين والأفعال الكمالية تتعارض تمام التعارض مع الحرية الإنسانية، ومع ثوابت النصوص القرآنية، حيث قال تعالى " { وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ } "[2] " فهذا أمر بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن، والمراد به أن يغطين رؤوسهن وأعناقهن وصدورهن بكل ما فيه من زينة وحلى "[3].

" وقد تطابقت وتزامنت حركة السفور الكمالية مع غيرها من بؤر الإسلام القوية كمصر وإيران، فقد ألقت " هدى شعراوي " و " سيزا نبراوي " حجابهما وداستاه بأقدامها فور وصولهما من مؤتمر النساء الدولي الذي عقد بروما صيف (١٩٢٣م)

وعندما نصب الإنجليز الكولونيل" رضا خان " شاه إيران عام (١٩٢٦م) مؤسساً للأسرة البهلوية، قام هو الآخر من فوره فأمر البوليس بالتعرض لكل امرأة محجبة ونزع حجابها غصباً وحظر على الفتيات والمعلمات وضع الحجاب ودخول مدارسهن به، ومنع أياً من ضباط الجيش من الظهور في الأماكن العامة أو في الشوارع برفقة امرأة محجبة مهما كانت صلتها وقرابتها به. هذه الرياح العاصفة التي هبت هكذا لتقلع المرأة المسلمة من اختيارها العقائدي الحر بالتزام الحجاب ذلك الحجاب الذي اعترفت به جميع الأديان والشرائع والحضارات في العهدين القديم والجديد.

فنجدُ في " الإصحاح الرابع والعشرون من سفر التكوين ": وخرج إسحاق ليتأمل في الحقل عند إقبال الماء فرفع عينه ونظر... وإذا جمال مقبله.. ورفعت " رفقة " عينها فرأت

---

(١) د./ عبد الدود شلبي: في مسالة السفور والحجاب، ص٢١، هدية مجلة الأزهر، ١٤٠٥هـ بتصرف.

(٢) سورة النور: آية رقم (٣١).

(٣)رسالة المرأة المسلمة، ص١٥، سلسلة يصدرها إتحاد طلاب جامعة أسيوط، مطبعة جامعة أسيوط، عام ١٩٨٦م.

إسحاق... فنزلت عن الجمل، وقالت للعبد: من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا ؟

فقال العبد: هو سيدي.. فأخذت البرقع وتغطت.

وفي الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر" التكوين " أيضاً: أن " ثامار " مضت وقعدت في بيت أبيها.. ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت.

وفي الإصحاح الثالث من سفر " أشيعا ": أن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهات برنين خلاخيلهن.

وكان الحجاب عند اليونان.. وعند الرومان قبل ظهور الإسلام، حيث كان الرومان يسنون القوانين التي تحرم على المرأة الظهور بالزينة في الطرقات، ومن ذلك قانون عرف باسم " أوبيسا "[١]

فدفاع النورسي عن الحجاب، هو دفاع عن الأصول والثوابت الموجودة في الشرائع والحضارات السابقة، وشيء راسخ في الفطرة الإنسانية، وتجريده ونزعه من على رؤوس النساء للتكشف والتبرج، هو تجريد للمرأة من فطرتها، وسلب لحريتها واختيارها.

ولهذا يقول النورسي:-

" أن رفع المدنية السفيهة الحجاب وإفساحها المجال للتبرج يناقض الفطرة الإنسانية، وأن أمر القرآن الكريم بالحجاب -- فضلاً عن كونه فطرياً- يصون النساء من المهانة والسقوط ومن الذلة والأسر المعنوي، ومن الرذيلة والسفالة، وهن معدن الرأفة والشفقة"[٢]

ثم يؤكد النورسي أن الحجاب يقوي العلاقة الوثيقة والحب العميق بين الزوجين ويصرف عن الزوج الغضب والغيرة فيقول:

" إن العلاقة الوثيقة والحب العميق بين الرجل والمرأة ليسا ناشئين عما تتطلبه الحياة الدنيا من الحاجات فحسب، فالمرأة ليست صاحبة زوجها في حياة دنيوية وحدها، بل هي

---

(١) د/ عبد الودود شلبي: مسألة السفور والحجاب، هدية مجلة الأزهر، ص٢٣، ٢٤، ٢٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم، ص٣٠٠، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

رفيقته أيضاً في حياة أبدية خالدة، فما دامت هي صاحبته في حياة باقية، فينبغي لها ألا تلفت نظر غير رفيقها الأبدي، وصديقها الخالد إلى مفاتنها، وألا تزعجه، ولا تحمله على الغضب والغيرة "[١].

ثم يبين في موضع آخر، أن الحجاب سبب لسعادة العائلة فيقول:- " إن سعادة العائلة في الحياة واستمرارها إنما هي بالثقة المتبادلة بين الزوجين والاحترام اللائق والود الصادق بينهما إلا أن التبرج والتكشف يخل بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة "[٢]

ويتفق الشيخ سيد سابق مع قول النورسي بأهمية الحجاب للمرأة، فيقول:

" أن أعز ما تملكه المرأة هو الشرف والحياء والعفاف.....، والمحافظة على هذه الفضائل، هي محافظة على إنسانية المرأة في أسمى صورها، وليس من صالح المرأة ولا من صالح المجتمع أن تتخلى المرأة عن الصيانة والاحتشام، ولاسيما أن الغريزة الجنسية هي أعنف الغرائز وأشدها على الإطلاق "[٣]

ويؤكد النورسي على نفس القول، بأن عدم الحجاب يطلق الشهوات من عقالها، فيقول:- " أن التبرج وعدم الحجاب الذي يثير هوى النفس ويطلق الشهوات من عقالها، يؤدي حتماً إلى

الإفراط وتجاوز الحدود إلى ضعف النسل وانهيار القوى "[٤].

ومن جانب آخر يقدم النورسي رؤية في غاية الأهمية، وهي أن تهتك النساء وخلاعتهن يسبب أزمة في الزواج، ويحد من التكاثر، ويحد من نسبة المقبلين إلى التعفف من الشباب حيث يجدون في التبرج الذميم معبداً لإشباع غرائزهم، فيقول:

" إن رفع الحجاب، وإفساح المجال أمام التبرج والتكشف، يحد من الزواج، بل يقلل

---

(١) بديع الزمان النورسي: المرجع السابق نفسه، ص٣٠١.

(٢)بديع الزمان النورسي: اللمعات،: ص٣٠٢.

(٣) السيد سابق: فقه السنة، المجلد الثاني، منار الدولية، ١٩٩٧ .بتصرف.

(٤) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم، ص٣٠٤، سوزلر، القاهرة.

من التكاثر كثيراً، لأن الشاب مهما بلغ فسوقه وتحلله، فإنه يرغب في أن تكون صاحبته في الحياة مصونة عفيفة، ولا يريدها أن تكون مبتذلة متكشفة مثله، لذا تجده يفضل العزوبة على الزواج، وربما ينساق إلى الفساد " [١].

وصدق الشاعر حين قال:

الأم مدرسة إن أعددتها..... أعددت شعباً طيب الأعراق.

فالمرأة هو قوام الصلاح والفلاح في أي مجتمع، فهي الجدة والأم والعمة والخالة والأخت والبنت، وهي الجوهرة المصونة والدرة المكنونة، ما بقيت كريمة معززة، ومنيعة محتشمة ومحصنة بحصن الإسلام ٠

" أما أرهب فرقة من الفرق المغيرة على الإسلام، والتي تسير وفق مخطط النفس الأمارة بالسوء، وسلمت قيادتها وإمرتها إلى الشيطان، هي طائفة من النساء الكاسيات العاريات، اللائي يكشفن عن سيقانهن، ويجعلنها سلاحاً قاسياً جارحاً ينزل بطعناته على أهل الإيمان، فيغلقن بذلك باب النكاح، ويفتحن أبواب السفاح، وإنه لعقاب عادل لهن أن تصبح تلك السيقان المدججة بسلاح الفتنة الجارح حطب جهنم، وتحرق في نارها أول ما يحرق لما كن يكشفنها لبضع سنوات أمام من يحرم عليهن " [٢].

وينتقد النورسي أوروبا في مسألة التبرج، ويؤكد على خصوصية العالم الإسلامي وحالته المناخية فيقول:

" أن بلادنا لا تقاس ببلدان أوربا.. فطبائع الأوربيين باردة جامدة كمناخهم أما هنا في بلاد العالم الإسلامي خاصة، فهي من البلدان الحارة قياساً إلى أوروبا ومعلوم مدى تأثير البيئة في أخلاق الإنسان " [٣]

ومن هنا يحاول النورسي إلى أن يقدم تبريراً بيئياً للحجاب

وإن كنت أرى أن أوامر الإسلام ونواهيه لا تحتاج إلى هذا التبرير، حيث أن المولى

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٣٠٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم، ص٣٠٥، سوزلر، القاهرة.

(٣) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم، ص٣٠٤، سوزلر، القاهرة.

توعد من يخالف أوامره وسعى لنشر الفاحشة بالويل والعذاب الأليم، ولم يفرق في أوامره ونواهيه، وفي الأتباع وعدم الأتباع، بين من يقيم في مناطق باردة أو حارة فقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [١].

لقد فطن النورسي " أن معركة خصوم الإسلام تبدأ مع المرأة، وتحت شعارات زائفة ومن منطلق خبيث يتزيا بأردية جذابة وفاجرة، لضرب معاقل المسلمات وهتك سترهن كجزء من المخطط الأسود الشامل " [٢].

وتعلن " أنا ميلجان " عن بعض هذه المخططات فتقول:-

" ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة من تعليم بنات المسلمين في مدارس التبشير الخاصة..، إن القضاء على الإسلام يبدأ من هذه المدارس، التي أنشئت خصيصاً لهذه الغاية، والتي تستهدف صياغة المرأة المسلمة على النمط الغربي، الذي تختفي فيه كلمة الحرام والحياء والفضيلة.....،.

ولتحقيق ذلك جندوا بعضاً من مندوبي المبيعات، ليصبحوا باعة جائلين يحملون الشنطة الثقافية الغربية، بما فيها من شعارات براقة، " كتحرير المرأة " و" الموضة " ومواكبة العصر " واتهام الإسلام أحياناً بـ " الجمود والتحجر والتعصب " وغيرها من الشعارات التي يرددها: " غربان الفكر، الذين لم يدركوا أن التقليد والمحاكاة لما هو رديء كارثة مهلكة" [٣]

ولهذا يقول النورسي لهم: " يا هؤلاء لقد وقعتم في طين نجس تلوثون وجوهكم به وكأنه المسك والعنبر "[٤]

" إن رؤية إمرأه محجبة، تثير فى نفس أعداء الإسلام أحقاد العداوة الصليبية، كما أن فى

---

(١) سورة النور: أية رقم (١٩)

(٢) د/ عبد الودود شلبي: مسألة السفور والحجاب، ص١١، ١٢، هدية مجلة الأزهر.

(٣) د/ عبد الودود شلبي: مسألة السفور والحجاب، ص٤، ٨ هدية مجلة الأزهر.بتصرف.

(٤) بديع الزمان النورسي: صقيل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، ص٣٦٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

حجاب المرأة حفاظ على دينها وعقيدتها، وذلك يعني فشل خططهم الشيطانية وإفساد ما دبروه في ليل الفساد والجريمة "[١].

ومما سبق يتضح أهمية دور النورسي في تلك الفترة، فلم يقف صامتاً، ولكنه واجه تيارات الإلحاد، وجمد كل منبع لا يسير ولا يتوافق مع منهج الإسلام، وعمل على إنقاذ المسلمين فى تركيا من السقوط في مستنقع الإلحاد والأخلاق الذميمة.

كل هذا كان دافعاً لإلقاء التهم وإلصاقها به وبطلابه النوريين من قبل أعداء الإسلام، الذين لم يجدوا سبيلاً لصد هجماته النورانية إلا بالعزل والنفي والحبس ووضع السم له في الطعام.

ولكن النورسي حطم أسوار السبل العدائية بقوة إيمانية وبرسائله، بحثاً عن الحرية ونشراً للمعرفة، وصدق الله في قوله { قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ }[٢]

وقوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ* وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ* فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ }[٣]

وقد وعد الله من صبر بالفوز العظيم " { إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ }[٤] صدق الله العظيم.

إرشاده للناس وحثهم على العمل:

لأن النورسي عالم مسلم، ويعرف جيداً أن الإسلام دين إيمان وعمل إستناداً للآيات القرآنية العديدة، التي لا تذكر الإيمان إلا ومقروناً معه بالعمل.

لهذا لم يدخر جهداً في تثبيت هذه المفاهيم، وإرشاد الناس بها، وتعريفهم بأن الإسلام

---

(١) د/ عبد الودود شلبي: مسألة السفور والحجاب، ص٣١، هدية مجلة الأزهر. بتصرف.

(٢) سورة التوبة: أية رقم (٦٤)

(٣) سورة المطففين: أية رقم (٢٩-٣٤)

(٤)سورة المؤمنون آية رقم(١١١).

دين بناء وحركة ونشاط وفاعلية، وليس دين عبادات فقط، ولكن إيمان وعمل.

" وفي أحد الأيام في " أسكي شهر " جاءه عمال من مصنع السكر فقال لهم: إن صليتم الفرائض، ستكون كل أعمالكم في المصنع في حكم العبادة، لأنكم تسعون لحاجة ضرورية للشعب، وخدمتكم هذه خدمة مباركة.

وفي يوم آخر جاءه بعض الملاحين الجويين من الجنود والضباط، فقال لهم:-

هذه الطائرات ستخدم الإسلام في المستقبل إن صليتم الفرائض وإن قضيتم ما فاتكم من فرائض، ستكون كل ساعة من أوقاتكم كعشر ساعات في الثواب والعبادة، لأنكم جنود وحسبكم إيمانكم، ومقتضى الإيمان هو: أداء الفرائض "[1].

ولعل دعوة النورسي هذه يريد من ورائها ترسيخ العبادات في النفوس، وحثه بجانب ذلك إلى العمل وعدم التكاسل لتحقيق أكبر تقدم علمي وصناعي واقتصادي للأمة من خلال تحفيز الأفراد على ذلك بالتوجيه والإرشاد.

حمى التفتيش وطريفة رمضان:

أثناء حمى البحث والتفتيش عن طلبة النور وعن الأدلة التي تدينهم، عثر بين كتب رسائل النور على كتاب مكتوب على غلافه بخط اليد عبارة " يعود إلى رمضان ".

ولكن، من رمضان هذا ؟

وأين يعمل ؟

ولماذا لم يقبض عليه حتى الآن ؟

لا شك أنه شخص مهم، إذ أن أسمه مسجل على أحد الكتب، إلا أن جميع طلبة النور ينكرون معرفتهم به، إذن.. فهو من أبرز أعوان سعيد النورسي.

وتصدر الأوامر المشددة بتفتيش جميع القرى والمدن القريبة، وتفتيش كل بيت للعثور على هذا الشخص الرهيب " رمضان ".. وأخيراً...يعثر في قرية بعيدة على قروي بسيط لا

---

(١) د/ سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص٦٦.

يقرأ ولا يكتب أسمه " رمضان "... ويعتقل هذا المسكين، ويرسل مكبلاً بالأصفاد، وفي حراسة مشددة إلى سجن " أسكي شهر " ..

ورغم أن هذا المسكين حلف مرات ومرات بأنه لا يستطيع أن يقرأ ويكتب، وأنه لم يرى في حياته أية رسالة من رسائل النور، وأنه لم يلتقي ببديع الزمان، إلا أن جميع اعتراضاته وتوسلاته تذهب أدرج الرياح، ويقضي في السجن شهرين كاملين، حتى يقوم أحد المسؤلين بتدقيق ذلك الكتاب، ويتبين أنه يبحث عن الصوم وآدابه وحكمته في شهر رمضان" [١].

وهذه الطريفة تظهر لنا البطش القاسي والجهل الشديد الذي كان يدير به الساسة أرجاء البلاد التركية، ولم يسلم من بطشه هذا حتى رمضان، سواء كان رمضان الفرد أو رمضان العبادة.. ورحم الله النورسي الذي كان يسبح في أمواج عاتية متلاطمة، ويسير في أرض كلها أشواك سامة... بحثاً عن الحرية ونشراً للمعرفة.

نفي النورسي إلى قسطموني (١٩٣٦-١٩٤٣م):

بعد أن قضى بديع الزمان في سجن " أسكي شهر " مدة سجنه البالغة أحد عشر شهراً نفي إلى مدينة " قسطموني" في ربيع سنة (١٩٣٦م) إذ اقتيد إلى مخفر الشرطة حيث قضى فيه مدة ثلاثة أشهر، نقل بعدها إلى بيت صغير يقع أمام المخفر مباشرة لكي يكون تحت المراقبة الدائمة، وكان البيت مؤلفاً من طابقين .. الطابق الأرضي: مخزن للوقود .

أما الطابق الثاني: فكان مكوناً من غرفتين، وكان بديع الزمان يدفع إيجار هذا البيت بنفسه"[٢] " وفي خلال هذه الفترة أستمر في كتابة رسائل النور وتداولت رسائله بين أيدي الناس وانتشرت في جميع أرجاء تركيا، وفي " قسطموني " حدث موقف دل على اعتزازه بإيمانه وتعاليه على كل الاستفزازات التي أستعملها معه وإلى المدينة " مدحت آلتي أوق ".

حيث أحتفظ بديع الزمان بملابسه وعمامته خلافاً لقانون الأزياء الصادر في

---

(١) إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٨٠، ٨١.

(٢) إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٨١.

(١٩٢٥م) واستدعاه الوالي لهذا السبب ولغيره إلى مقره الرسمي، فجاء بديع الزمان إلى مقر الوالي يحيط به رجال الشرطة، وكان ثائراً، فالظاهر أن أحدهم حاول نزع عمامته في الطريق.

دخل الغرفة على الوالي قائلاً: أسمع يا " مدحت " ليس هناك سوى حاجز رقيق بيننا وبين الموت الذي تخشونه، فإذا اقتحمنا هذا الحاجز لم يبق هناك شيء يمكن الخشية منه لذلك فاتخذ ما تحب من إجراءاتك القانونية.

أصفر وجه الوالي وأرتبك، ولم يجد جواباً.

وبصعوبة بالغة، وصلت أصابعه إلى الجرس الموضوع على مكتبه، ليضغط عليه مستدعياً رجاله ليأخذوا بديع الزمان إلى بيته دون أن يجسر (وهو الوالي المشهور بفظاظته وقسوته) بمطالبة الأستاذ النورسي بتبديل ملابسه.

وفي تلك السنوات الحالكة حذفت دروس الدين من المدارس، وعملت الحكومة على نشر موجة الشك والإلحاد وهدم معاني الإيمان في نفوس الجيل الجديد، فكتب النورسي في هذا الموضوع لإنقاذ هذا الجيل الحائر.

وجاءه من الطلاب في قسطموني من استطاع التسلل إليه خفية، باحثاً لنفسه ولأقرانه عن نور لقلبه، وهداية لروحه.

فأزاح عن قلوبهم وعقولهم غبار الشك والإلحاد.

وكانت الحركة النورية في توسع دائم ونشاط مستمر، ولم تنفع كل التدابير الحكومية من محاكمات وسجن وعزل في إيقاف تقدمها وتوسعها.

ولما زاد نشاط هذه الحركة أراد البوليس التخلص من مؤسس هذه الحركة النورية، فدسوا له السم في طعامه سنة (١٩٣٤م) وأصيب بحمى شديدة ولكنه لم يمت.

وفي (١٨ سبتمبر) من السنة نفسها، داهمت الشرطة منزله أملاً في العثور على أي دليل للاتهام يسوغ لها سوق بديع الزمان إلى المحاكمة، ولكنها لم تجد إلا رسائل تبحث في مسائل الإيمان والآخرة والأخلاق.

ورغم هذا قامت بتوقيفه، وسيق برفقة الشرطة إلى أنقرة مع مائة وستة وعشرين من طلاب النور، جمعوا من مختلف المدن، وفي الطريق إلى أنقره لم ينس القيام بواجب الدعوة إلى الله، منتهزاً فرصة الصيام، فأقبل الناس إليه يستمعون بلهفة وشغف، وأفطر معهم وصلى بهم الصلوات في الطريق "[١].

سجن دينزلي " المدرسة اليوسفية الثانية ":

ومن " أنقرة " أرسل النورسي إلى " أسبارطه " ومنها إلى مدينة " دينزلي " المدرسة اليوسفية الثانية، حيث أودع في سجنها تمهيداً لمحاكمته، وتألفت لجنة التحقيق لدراسة التهم المنسوبة إليه، والتدقيق في جميع رسائل النور، وكانت النتيجة أنهم لم يعثروا فيها على أي شيء يكون موجباً للتهمة.

قضى بديع الزمان مدة تسعة أشهر موقوفاً في سجن " دينزلي " في زنزانة انفرادية، وكان طلابه أيضاً مسجونين في نفس هذا السجن، وقد توفى منهم اثنان كانا من أقرب التلاميذ إلى قلبه، وألف أثناء مكوثه في سجن " دينزلي " رسالة " الثمرة " كان يكتبها على قصاصات من الورق، ويضعها في علب الكبريت، ويرميها خفية من شباك ردهته إلى طلابه، وهم بدورهم يستنسخونها.

وأثناء مدة التوقيف عقدت محكمة الجزاء الكبرى عدة جلسات للمحاكمة [٢] وقد ألقى بديع الزمان دفاعاً رائعاً أمام هذه المحكمة، نورد منها قوله:-

(أيها السادة.. يا رئيس المحكمة... إن الزنادقة والمنافقين غرروا بكم وصفعوا العدل والحق وإنحرفوا بالدولة عن وظيفتها الأساس إلى مشاغل لا فائدة منها، وأتخذوا من الاستبداد جمهورية والردة نظاماً، ومن الجهل والسفه مدنية، ومن الظلم قانوناً، وبذلك

---

(١) د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٨٤،٨٣، وأنظر د/ سمير رجب:الفكر الادبى، ص٦٣،٦٤ (لم تكن هذه هي المرة الأولى، بل قاموا بوضع السم له سبعة عشرة مره) انظر• صيقل الاسلام، ص ٥٣٦.

(٢) إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٨٩،٩٩ وأنظر د/ سمير رجب:الفكر الادبى والديني، ص٦٤ بتصرف.

خانوا وطنهم وضربوه ضربة ما كان لأجنبي أن يضرب مثلها.

وبالرغم من صدور قرار المحكمة في (١٥/ ٦/ ١٩٤٤م) بتبرئته من جميع التهم المسندة إليه، إلا أنه لم يطلق سراحه، واحتجزوه في أحد الفنادق لمدة شهرين ريثما تأتي التعليمات الحكومية بحقه من العاصمة " أنقرة " والتي جاءت أخيراً بنفيه إلى قضاء " أميرداغ " من أعمال ولاية " أفيون "[١]

نفي النورسي إلى " أميرداغ " (١٩٤٤م):

تم نفي النورسي إلى قضاء " أميرداغ " في أواخر أغسطس (١٩٤٤) ووضعه تحت الإقامة الجبرية في أحد البيوت، ووضع على بابه حارس لا يفارق الباب يترصد حركاته وسكناته، وكان النورسي من عادته الخروج في فصل الصيف إلى السهول والبساتين القريبة من " أميرداغ " وكانت الشرطة تتعقبه في نزهته هذه.

وفي إحدى المرات تعرضوا له بالأذى، إذ نزعوا عمامته من رأسه وساقوه إلى مخفر الشرطة بحجة مخالفته لقانون الزي.

وفي هذه البلدة دسوا له السم في طعامه (باعتراف الطبيب الرسمي آنذاك) ولكن الله سبحانه نجاه من كيد أعدائه، ولم يصبه إلا بعض الآلام التي استمرت أسبوعاً دون إسعاف، ولما ضاق صدره من سوء المعاملة، كتب إلى رئيس قوي الأمن في الولاية يخبره بذلك، لكن لا حياة لمن تنادي، وظل البوليس السري يترصد حركاته وسكناته هو وطلابه، للبحث عن آية حجة أو مسوغ للقبض عليهم "[٢].

النورسي في سجن أفيون " المدرسة اليوسفية الثالثة " (١٩٤٨م):

هل كان مرور اثنتين وعشرون سنة على حياة النفي والإقامة الجبرية والمراقبة والترصد لشيخ بلغ عمره الخامسة والسبعين عاماً يكفي بالنسبة إلى حكومة أنقرة آنذاك ؟... كلا

---

(١) إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص٩٤.

(٢)إحسان قاسم:النورسي نظرة عامه، ص٩٥، أنظر د/ فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص٨٥-٨٦، وأنظر د./ سمير رجب: المرجع السابق، ص٦٤. بتصرف.

فالبوليس السري يترصد حركاته وسكناته، ويترصد طلابه لاقتناص والتقاط التهم وإلصاقها بهم.

وفي يوم من أيام (١٩٤٨م) داهمت الشرطة بيت النورسي وبيوت عدداً كبيراً من طلابه وسيقوا جمعياً إلى سجن مدينة " أفيون " وعومل النورسي معاملة قاسية •

فبالرغم من شيخوخته والشتاء القارص، تركوه وحده في زنزانة عارية دون مدفأة بينما كان الثلج يتراكم على زجاج نافذته، ودسوا له السم في طعامه...، ولكن الله حفظه.

وعندما حاول بعض طلابه إسعافه ومساعدته، ضربوهم ضرباً مبرحاً، وأدميت أرجلهم على " الفلقة " وفي هذا السجن هدى الله على يديه كثيراً من المجرمين والقتلة، كما أنه أستمر في تأليف رسائل النور.

واستمرت جلسات المحكمة فترة طويلة.....

وأخيراً صدر الحكم بالسجن لمدة " عشرين شهراً " لبديع الزمان، وبالحكم مدداً مختلفة على عدد من طلابه، وتبرئة البعض، وقد أعترض النورسي على الحكم في محكمة التمييز التي قررت بطلان الحكم، إستناداً إلى ما قررته محكمة " دينزلي " من براءة في تهم مشابهة.

وبعد مرور عشرين شهراً أطلقوا سراحه سنة (١٩٤٩م) حيث خرج بصحبته شرطيان وعدد من طلابه إلى بيت قد أعد له.

وبهذا الصنيع الذي استخدمته الحكومة مع النورسي في فترات حياته، نرى المستوى الهابط الذي تنحدر إليه حكومة أنقره، والألاعيب الرخيصة التي توسلت بها لإيذاء شيخ لم ينتقموا منه إلا لأنه يقول: " ربي الله "[1].

"في كل محنة منحة":

كانت محكمة " أفيون " قد قررت مصادرة رسائل النور، ولكن محكمة التمييز نقضت

---

(١) د. فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٨٦،٨٧. وأنظر إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص٩٧-٩٩. بتصرف.

هذا القرار استناداً إلى محكمة الجزاء الكبرى في " دينزلي " وفي تلك لسنة (١٩٤٩م) راجت رسائل النور رواجاً كبيراً، إذ سمح لها بالطبع على " الرونيو " فنسخت آلاف الرسائل وتم نشرها في القرى والنواحي والمدن لتشعل جذوة الإيمان في آلاف القلوب.

وهكذا فرضت حركه النور نفسها على واقع المجتمع التركي، فلم يعد بوسع أحد أن يتجاهلها بل شاءت حكمة من قال في كتابة الكريم { فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً }[1]

أن تكون هذه المحاكم نفسها وسيلة فعالة في نشر رسائل النور، ذلك لأن المرافعات العلنية التي كان يلقيها النورسي في المحاكم كانت خير وسيلة لشرح غاية دعوة النورسي وفضح مرامي الذين يقفون ضده، وكانت هذه المرافعات تستنسخ من قبل طلاب النور بالعربية، وتوزع سراً بين الناس.

ومع أن الحبس قهر للنفس وسلب للحرية وطمس وتعتيم لعدم الحصول على المعرفة، إلا أن هذا الحبس سُلب من خصائصه هذه بقدرة من يقول للشيء " كن فيكون " وكانت خير وسيلة للتعارف بين طلاب النور الذين أحضروا من مختلف القرى والنواحي والمدن، فكانت السجون هي أماكن تعارفهم وتآلفهم وتصادقهم وتعلم الحروف العربية، وكانت سبباً لهداية الكثيرين من المجرمين وغيرهم ".[2]

وهذا يذكرنا بما حدث لسيدنا يوسف حينما ألقوه أخوته في غيابة الجب لكي يُلقوا عليه بأستار النسيان، وكاد النسوة له فألقوه في السجن، فساق الله خيوط القدر ليحول كيد هؤلاء وهؤلاء من محنة إلى منحه •

حيث حول كيد من رموه في بئر عميق إلى أن يسكن في بيت عزيز مصر وجاءوا إليه يرميهم الجوع تحت أقدامه •

وحول الله كيد النسوة إلى منحة، حيث دلهم من كان مسجوناً معه بعلمه وخبرته

---

٢١) سورة النساء: آية رقم (١٩)

(٢) د. فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٨٦-٨٧، وأنظر إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص٩٧-٩٩ .بتصرف.

بتفسير الأحلام فأصبح وزيراً للمالية...

وسبحان من قال { يعز من يشاء ويذل من يشاء } [١]

وحقاً لقد عاش النورسي في المدرسة اليوسفية، فحول الله محنه إلى منح •

" وكما قال ابن عطاء الله السكندري: ربما كمنت المنن في المحن " [٢].

المرحلة الثالثة " سعيد الثالث ":

انتهت المرحلة الثانية من حياته لتبدأ المرحلة الثالثة، والتي أطلق فيها النورسي على نفسه أسم " سعيد الثالث " وهي المرحلة الأخيرة من حياته، تلك المرحلة التي ابتدأت منذ خروجه من سجن " أفيون" وظلت حتى وفاته سنة (١٩٦٠م).

وتميزت الأوضاع في هذه الفترة في تركيا بظهور الأحزاب السياسية إلى النشاط بعد أن كان هناك حكم الحزب الواحد، حيث فاز في الانتخابات " الحزب الديمقراطي " فوزاً ساحقاً عام (١٩٥٠م) وأقصى من الحكم " حزب الشعب الجمهوري " الذي حارب الإسلام مدة ربع قرن.

وفي هذه المرحلة نرى زيادة نشاط النورسي في القيام بالتدريس الجماعي لرسائل النور، إضافة إلى قيامه بدعوة السياسيين ورجال الحكم، ينصحهم بإتباع الإسلام والاسترشاد بتعاليمه، وبيان أن الطريق الصحيح الوحيد هو الإسلام " [٣].

النورسي في ظل الحزب الديمقراطي:

وبينما كانت محكمة " أفيون" مستمرة في عقد جلساتها، تبدلت في ذلك الوقت الحكومة في أنقرة، إذ جاء الحزب الديمقراطي إلى الحكم سنة (١٩٥٠م) وعند مجيء هذا الحزب إلى

---

(٣) سورة آل عمران: آية رقم (٢٦)

(٤) د. فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٨٩.

(٣) د. فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٨٨. وأنظر إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص١٠٤.

الحكم أصدر عفواً عاماً في البلاد.

وهكذا أُغلقت هذه القضية، وأستبشر المسلمون خيراً بمجيء هذا الحزب إلى الحكم، لا لأنه كان حزباً إسلامياً ولكن لأنه:-

أولاً: أزاح من الحكم أشرس عدو للإسلام.

ثانياً: أعطى بعض الحرية للنشاط الإسلامي وأرجع الأذان الشرعي.

لذلك أرسل بديع الزمان برقية تهنئة لرئيس الجمهورية الجديد " جلال بيار " تمنى له فيها أن يوفقه الله لخدمة الإسلام، وقد رد عليه رئيس الجمهورية ببرقية شكر .

وفي سنة (١٩٥٧م) جرت الانتخابات العامة في تركيا، فذهب النورسي إلى صناديق الاقتراع، وشارك وأدلى بصوته لصالح الحزب الديمقراطي"[1].

أثر تغيير حكومة أنقرة في حياة النورسي:

لقد كان لتغيير حكومة أنقره أثره البالغ في الحياة التركية بصفة عامة، وأثره في حياة النورسي بصفة خاصة، ويتجلى هذا الأثر في نواحي عديدة منها:-

أولاً: كان لتغيير حكومة أنقره أثره الكبير في وقف نزيف سياسة العداء السافر للإسلام والمسلمين، والتي أتبعها الساسة الكماليون وعصابتهم الماسونية مدة ربع قرن، وعودة الروح الإسلامية إلى الحياة التركية من جديد.

ثانياً: كان لهذا التغيير أثره الواضح كذلك في حياة النورسي، الذي جاهد لإنقاذ الشعب التركي من السقوط في مستنقعات الإلحاد الكمالية، والتي عمل فيها على إرهاب المسلمين وسلب حرياتهم، وسفك تعاليم الإسلام، وصد هجمات النور القرآنية التي كان يبثها سعيد النورسي من أماكن محاصرته ونفيه وعزله وسجنه وإقامة المحاكمات المتتالية له.

لهذا وجد النورسي في هذا التغيير متنفساً لهواء نقي في ظل حكومة تنبعث منها تباشير الخير، خاصة بعد ما أُرجع وعاد الأذان لسابق عهده، لكي ترتفع فوق المآذن كلمة " الله

---

(١) إحسان قاسم:النورسي نظرة عامة، ص١١١، وأنظر د. فرج محمد الوصيف، النورسي عصره ودعوته ص٩٠-٩٦. بتصرف.

أكبر ".

كما أن هذا التغيير فتح طريقاً ممهداً للنورسي لكي يتجول في ربوع تركيا لنشر دعوة الإيمان في حرية افتقدها في السابق...

" فبعد أن قضى شهرين فى مدينة " أفيون " توجه مع بعض طلابه إلى أميرداغ حيث مكث بها سنتين، ثم توجه بعد ذلك لزيارة مدينة " أسكي شهر " سنة (١٩٥١م) وكانت هذه أول زيارة حرة يقوم بها، وهناك التقى بطلابه القدامى والجدد.

وظل لمدة شهر ونصف في هذه المدينة في فندق " يلدز " والتقى خلالها بجميع فئات الشعب الذين كانوا يقبلون أفواجاً لزيارته، وكان أثناء هذه الزيارات يوصي بتقوى الله وعبادته "[1]

وكان لهذا التغيير أثره البارز على نتاج النورسي الثقافي والتجديد الإصلاحي، ففي هذه الإثناء كانت رسائل النور تطبع.

"وكان النورسي مسروراً جداً بطبع الرسائل ونشرها، وكانت ترسل إليه الأجزاء التي تطبع من رسائل النور ويقوم هو بتصحيحها ومراجعتها بنفسه، ولهذا يقول:-

نحن نعيش عيد رسائل النور الآن، لقد أديت واجبي، وكنت أنتظر هذه الأيام، لقد حان وقت رحيلي.

وأخذ بديع الزمان يتنقل من بلد إلى آخر قبيل وفاته وكأنه كان يودع طلابه ٠

ففي سنة (١٩٥٩م) سافر إلى " أنقره "، ومنها إلى " أميرداغ " ومنها إلى " قونيه " ثم إلى " أنقره " مرة أخرى ومنها إلى " استانبول " في (١/ ١/ ٩٩٦٠م) ثم إلى " أنقره " ثم إلى " قونيه " فإلى " إسبارطة " ٠

وما أن رجع إلى انقره في(١١/ ١/ ١٩٦٠م) حتى أبلغته الحكومة بأنه من الأفضل أن يقيم في أميرداغ، ولكنه طلب من الحكومة أن يقيم شهراً في أميرداغ.. وشهراً في

(١) إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص١٠٦، ١٠٧، وأنظر د/ فرج الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٦٥.

إسبارطة"[١].

أيامه الأخيرة ولحظات الوداع:

" قضى بديع الزمان النورسي مع طلبته سنواته الأخيرة في مدينة " إسبارطة " وكان أحياناً يقوم بزيارة " بارلا " و " أميرداغ ".

ولتقدمه في السن، فإنه كان في أكثر الأحيان طريح الفراش... وكان قليل اللقاء بالناس وكان يقول: " إن قراءة رسائل النور أفضل مائة مرة من الحديث معي "[٢].

" وفي شهر رمضان عام (١٣٩٧هـ- مارس ١٩٦٠م) أشتد عليه المرض وفقد وعيه مرات عديدة، ثم أستيقظ قبل صلاة الفجر، حيث توضأ وصلى صلاة الصبح، ثم أستدعى طلابه وودعهم واحداً واحداً قائلاً لهم وعيناه تفيضان بالدمع: أستودعكم الله... إني راحل.

وبعد أن ودع أصدقاءه الآخرين، توجه بالسيارة إلى إسبارطة، وبقى هناك فترة وكان ذلك في شهر رمضان.

وأشتد عليه المرض مرة أخرى، فحمله طلابه إلى السيارة وتوجهوا إلى " أورفة " ووصل " أورفة " يوم الاثنين الحادي والعشرين من مارس سنة (١٩٦٠م)، أقام هناك في فندق (أبيك بلاس).

وفي اليوم التالي حاصر البوليس الفندق، لأنه غير مصرح له بالتجول إلا في " أميرداغ " و " إسبارطة " ودخل قائد البوليس الفندق ليبلغه أمر وزير الداخلية فيجيبهم بديع الزمان الذي كان يعيش ساعات عمره الأخيرة قائلاً لهم:

يا للعجب ما جئت هنا لأرجع... أظن أني سأموت هنا... وأنتم ترون ما أنا فيه.

وفي تلك الليلة الخامس والعشرين من رمضان سنة (١٣٧٩هـ ٢٣ مارس سنة ١٩٦٠م) يسلم الروح للرحمن، ويتشر الخبر في " أورفة " فيتجمع آلاف البشر حول

---

(١) د. سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص٦٨،٧٠. بتصرف.

(٢) د. فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص٩٦.

الفندق، ثم ينتشر الخبر في المدن التركية، فيبدأ سيل من الناس للوفود إلى المدينة •

وعندما كان يواري جثمانه في التراب في منطقة " خليل الرحمن " بمقبرة " أولو جامع " يتساقط رذاذ المطر، وكأن السماء تشترك في وداعه "[١]، والملائكة تناديه بآيات ربها:-

{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي}[٢].

وصعدت روحه الطاهرة إلي خالقها،..إلي روح وريحان وجنة نعيم، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين...، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

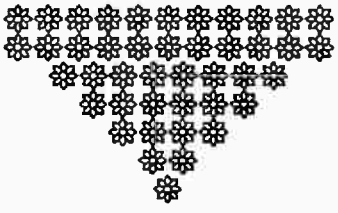

(١) د. سمير رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ص٧٠،٧١. وأنظر د. فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ص٩٧-٩٩. بتصرف.

(٢) سورة الفجر: أية رقم (٢٧-٣٠)

ومن خلال ما سبق يتضح لنا ما يلي:-

- إن نشأة النورسي وتربيته في أسرة تتسم بالورع والتقوى والتمسك بأحكام الشرع الحنيف، وفي بيئة نقية تحافظ على القيم والمبادئ والتقاليد، كان لها أكبر الأثر في تكوين شخصيته المتزنة الهادفة لحب الخير والانضباط والالتزام في الفعل والسلوك واتصافه بالأخلاق الفاضلة الحميدة والقناعة والرضا، وصونه عزة العلم بعدم النظر إلى الحرام، هذا بالإضافة إلى شجاعته وبسالته وجهاده.

- ظهور ملامح النبوغ والذكاء على النورسي منذ الصغر، وسعيه لتحصيل العلوم الدينية والحديثة، مما جعله يحوز على إعجاب وثناء الجميع من العلماء والمتعلمين ويحوز على الكثير من الألقاب....، أشهرها بديع الزمان.

- أهمية دور الأسرة في رعاية النشئ، وخاصة حرصهم على تحفيظهم لكتاب الله لكونه يحتوي على مخزون علمي ومعرفي لا حصر له، مما يكون له أكبر الأثر في توسيع مدارك الإنسان منذ الصغر، كما حدث مع النورسي.

- هذا بالإضافة إلى الدور المعرفي والتأثير البارز الذي غرسته أمه في نفسه في مرحلة الطفولة، وهو ما اعترف النورسي عنه، بأن بداية تحصيله العلمي والتي كانت كالنقش على الحجر، وكانت الشرارة المعنوية الأولى التي أشعلت نور المعرفة وأظهرت الحقائق العظيمة، فإنها كانت على يد والدته.

- إن الظروف التي كانت تمر بها تركيا من قلاقل واضطرابات سياسية، وما نتج عن ذلك من تفشي الجهل والخرافات (حتى بين من يسمون بالمتعلمين) وخاصة في أطراف البلاد وقراها، لم يمنع سعيد النورسي من التواصل مع الثقافات الأخرى، فهو لم يقف مكتوف الأيدي، وقانعاً بما يدفع إليه من ثقافة يستقيها، ولكنه حطم قيود العزلة، وبحث عن كل ثقافة تروي ظمأه، تسكيناً للعقل المتعطش للعلم والمعرفة وتهدئة للنفس التواقة للاستكشاف والاستطلاع.

- ترك النورسي مخزون ثقافي وعلمي سطره تحت مسمى " رسائل النور" وهي مستمدة من منهل القرآن الكريم، الذي كان رفيقة في حله وترحاله، لكي تنير الطريق وترشد الحائرين، كما أنه عالج في كليات رسائل النور قضايا كثيرة تهم المسلمين والمجتمعات الإسلامية.

كما أن تفكيره الذي سجله في رسائله، ينطلق من ثوابت ومعايير قرآنيه، وبأساليب تجديدية تواكب العصر، وتشد الإنسان إلى المعرفة الصحيحة، وإلى حسن التعامل مع قضايا عصره.

ومن خلال كليات رسائل النور استطاع النورسي أن يوقف نزيف المد الإلحادي الغاشم وأن يقطع الطريق أمام الساسة المعادين للإسلام ويلزمهم الحجة، وقضى على الدعايات المغرضة الظالمة، التي يشيعها أهل الضلالة، وألجأهم إلى التقهقر والاستسلام، وأظهر نور التوحيد.

كما أنه استطاع من خلال رسائل النور تغيير الكثير من المخططات العدائية للإسلام وإجهاض القرارات التي أرادت طمس العقيدة وثوابتها، ومنها: ترجمة القرآن والآذان باللغة التركية بدلاً من العربية... وغيرها من المخططات العدائية، وهذا يبرز دور رسائل النور وفاعليتها في مواجهة الظلم والاستبداد، وتغيير المفاهيم المغلوطة.

- استطاع النورسي رغم الأحداث الذي تعرض لها أن يجسد من رسائله مدرسة تضم الكثير من طلاب النور (من جميع الطبقات والفئات) ليشكل جسداً واحداً على شكل هرمي، يتلازم (النورسي، ورسائله، وطلابه) كل منهما بالآخر، وهو ما أطلق عليه النورسي الإنسان الكامل، مما جعل دور حركة النور التي ظهرت على يد النورسي، أن يكون لها الدور البارز، وجعلها من أهم الحركات الإصلاحية الإسلامية في تركيا، وأغزرها فكراً، وأعمقها تأثيراً.

وذلك لأن النورسي استطاع أن يغرس فيهم أفكاره وآراءه النابعة من منهج القرآن ويقدمهم للمجتمع والإنسانية كبضاعة ألماسية، وكنموذج صالح اكتمل بنيانه، لينوبوا عنه في أداء الرسالة ونشرها، ويتحملوا المسئولية في غرس العقيدة وتصحيح الأفكار الضالة، وهذه من أهم الأشياء التي ينبغي لكل مصلح ومجدد أن يرعاها ويتولاها بالاهتمام، حتى لا تندثر أفكاره بعد وفاته ولا تجد من يتولاها بالرعاية.

- عاصر النورسي مرحلتين متغايرين ومتباينتين كل التباين في المبادئ والأهداف سياسياً واجتماعياً وثقافياً، وتتمثل المرحلة الأولى: الخلافة العثمانية وسقوطها.

وتتمثل المرحلة الثانية: الجمهورية التركية العلمانية ومخططاتها.

وشاهد بأم عينه ضرب المشروطية الأولى بإلغائها، وضرب المشروطية الثانية بتشويهها

من قبل أصحاب الإتحاد والترقي، بإظهارهم أنها مخالفة للشريعة، وأن الشريعة تعين الاستبداد، مما دفع النورسي لهجومهم، ودحض مخططاتهم الخبيثة، وتشويههم صورة الإسلام.

وهذه الأحداث وغيرها... كان لها تأثيرها الكبير على حياته، وكانت المحرك له للنهوض في الناس بدعوته الإصلاحية التجديدية، وكسر قيود الاستبداد وانتعاش الحرية، وترسيخ أسس العقيدة وأركان المعرفة.

- يعتبر النورسي واحد من أعلام الترك المصلحين والمجددين في الفكر الإسلامي والذين قاوموا الكفر والإلحاد والاحتلال، وكشف عن مؤامراتهم الاستعمارية وحارب أطماعهم.

ويظهر ذلك جليا من خلال تفاعل مفكرنا مع التغييرات التي قام بها نظام الدولة ومن معه من الساسة المعادين للإسلام بعد سقوط الخلافة الإسلامية بإكراه النساء على عدم لبس الحجاب، وإجبارهن على التبرج، مع نشر جو من الإرهاب والاستبداد الفكري الصارم، والتهديد بالسجن والتعذيب للعلماء ورصد تحركاتهم، ومراقبة من يتحدث عن الخلافة، وفرض لبس القبعة إجباراً وعدم لبس الطربوش، ومحاولة ترجمة القرآن وإلغاء الآذان باللغة العربية، وإلغاء الشريعة واستبدالها بالقانون السويسري، وغلق أكبر مسجدين في تركيا، وعدم السماح بحرية العقيدة للمسلمين، وإشاعة التعاملات الربوية، وبيع الخمور، وانتشار الفسق والفجور باسم الحرية... هذه وغيرها من التغييرات والقرارات التي أراد النظام من خلالها تقليد كل ما هو غربي، ومسخ وتغيير كل ما هو إسلامي.

ومع كل ذلك لم يستطع النورسيٰ أن يكون سلبياً أمام هذه التغييرات الإجبارية الاستبدادية ويقف مكتوف الأيدي أو معقود اللسان، بل واجه التغييرات التغريبية الإلحادية (فكرياً وثقافياً وعقدياً وسياسياً واجتماعياً....، بل حتى في الملبس واللغة) التي أحدثها النظام وأراد فرضها على المجتمع التركي.

كما سعى النورسي على الحفاظ على الثوابت الإسلامية.

كما أنه أنبرى يدافع عن الحرية، وعن حضارته وقيمه وتراثه، ومستخدماً في ذلك كل الأساليب والأدوات.

- تنوعت وتعددت وسائل وأساليب النورسي في نشر أفكاره وآرائه لكسر حواجز الاستبداد، وكشف عور الساسة، وترسيخ الحرية الشرعية ونشر المعرفة، بالتوجيه والإرشاد لدى الخاصة والعامة على السواء، وإلقاء الخطب والمحاضرات والمحاورات والمناظرات، وسعيه من أجل إنشاء المدارس والجامعات، ومساهمته في نشاط الجمعيات والمحافل العلمية الخادمة للإسلام، وعقد المؤتمرات والندوات وكتابته للمقالات.

فقد سلك في كل ذلك أسلوباً مؤثراً، خاطب به العقل والقلب والوجدان، مقتفياً بذلك أسلوب القرآن الكريم، مع التحلي بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

ويتجلى الهدف الأكبر من وراء أساليبه ورسائله ومسلكه، هو تحرير المجتمع من قبضة الأفكار الضارة، والسامة الهدامة، والتي يريد النظام والساسة المعادين للإسلام وللمبادئ والأخلاق، أن يُسقطوا فيها الإنسان الحر المكرم.

وسعى النورسي لتحقيق ذلك، بإظهار الحقائق الإيمانية عن طريق الإيضاح، وإزالة اللبس لدى طلابه، وتفنيد شبه الملحدين وشبه غير المسلمين، وكشف الحقيقة لدى المسئولين إعذاراً لهم، وإظهار حقيقة دعوته في دفاعاته أمام المحاكم، وتصحيح الأفكار والمفاهيم التي يبثها الخبثاء بين أفراد المجتمع.

- ابتعد النورسي عن سياسة المواجهة (العنيفة) التي اتبعها الأفغاني، وبعض الحركات الأخرى كالسنوسية والمهدوية والوهابية، ولكنه اتبع سياسة الالتفاف الحكيمة حول التدني، والحطة الروحية، والمفاسد الخلقية، والهوان الحضاري، والإستيلاب المقيت، واللافاعلية البنائية، وتحلى لكل طور منها بألوان من البيان المعرفي والمسلكي ووقع اختياره للقرآن كسلاح أساسي واستراتيجي في الدفاع، وصد الهجمات الموجهة ضد القرآن والمسلمين.

- كما أنه جعل منذ المنطلق خط فاصلاً بين منهاجه القرآني ومنهاج السياسيين الذين تدور سياستهم في فلك الغرب، ويجعلون الدين في المرتبة الثانية أو الثالثة (إن وجد)

وهذا ما دفعه للتصريح بالاستعاذة بالله من الشيطان والسياسة، وهذه الاستعاذة لا

تصل إلى صحة القول بأنه ابتعد عن السياسة نهائياً، أو أنه ليس بسياسي حتى وإن كان القائل بذلك النورسي نفسه.

فحياة النورسي التي وهبها لأمته (بما فيها عزوفه عن الزواج) ومؤلفاته، تؤكد بتواجد النورسي الحقيقي والفعلي والواقعي، ووجود موقف سياسي أصيل له تجاه الأوضاع السائدة في تركيا، وإلا ما قامت السلطة بحبسه ونفيه وعزله أحياناً، ومحاكمته واضطهاده أحياناً أخرى.

ومما يؤكد ذلك: هو عدم قناعة السلطة والساسة بموقفه وتصريحه أنه بعيد عن السياسة وأنه ليس سياسياً، حيث عرفوا من خلال ضرباته الموجعة لهم، والموجهة من جميع القواعد والأماكن التي يرى فيها النورسي أن بها خللاً ما، أنه يستعمل معهم سياسة الالتفاف الحكيمة، أو ما نستطيع أن نطلق عليه " الدفاع الاستراتيجي " ويستخدم معهم مبدأ " الحرب خدعه ".